المتغير الأخلاقي المعاصر لظهور الطاوية وممارسات الطاقة

لطيفة بنت عبد العزيز بن عبد الله المعيوف[1]

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في 14/ 11/ 1442هـ؛ وقبل للنشر في 14/ 02/ 1443هـ)

المستخلص: عرفت الديانة الصينية وعقائد الطاوية في المؤلفات القديمة التاريخية والأدبية أنها ديانة وثنية تعتنقها الشعوب الصينية، إلا أنه في الوقت الحالي تحولت الوثنية الطاوية وما يتعلق بها من ممارسات الطاقة إلى أمر عالمي صاحبه قبول واستحسان وتلقي من بعض الأكاديميين والعلماء والعامة، بعد أن كانت مرفوضة ومقبوحة. نفذت الطاوية في أوروبا من خلال فلاسفة الوجودية الألمان، وبعض المختصين بفيزياء الكم، وممثلي العلاج الطبيعي، ما سهل دخوله للعالم العربي عبر الفلسفة والطب البديل مع تزامن انتشار دورات تطوير الذات، وانبعاث الفكر الصوفي من جديد، مما أظهر تحولاً وتبدلاً أخلاقياً تجاه الطاوية من الرفض التام إلى القبول والاستحسان.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الطاوية، الطاقة، فلسفة، الوجودية، نظرية الكم، الطب البديل، اللاهوت الطبيعي.

The Contemporary Ethical Variable of the Emergence of Taoism and Energy Practices

Latifah bint Abdulaziz bin Abdullah Al-Mayouf[(1)]

King Saud University

(Received 23/06/2021; accepted 21/09/2021)

Abstract: Chinese religion and the doctrines of Taoism were known in the ancient history and literature to be a positivist pagan religion espoused by the Chinese people. However, at present, Taoist paganism along with energy application activities have been worldwide appreciated and accepted by the public after being rejected and averted. It is vital to mention that Taoism has entered Europe through existential philosophy, quantum physicists, and physical therapists which facilitated and encouraged its spread in the Arab world through existential philosophy. The widespread of alternative medicine with the simultaneous spread of self-development workshops likewise, the rebirth of mystical thoughts showed a drastic change in morals and an ethical shift to Taoism, from complete rejection to acceptance and approval.

Keywords: Ethics, Taoism, Energy, philosophy, Existentialism, Quantum theory, Alternative medicine, Natural theology.

---

(1) أستاذ العقيدة المشارك، بقسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة الملك سعود.

(1) *Associate Professor of Faith, Department of Islamic Studies, College of Education, King Saud University.*

البريد الإلكتروني: *e-mail: lalmayouf@ksu.edu.sa*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيمثل الوقت الحالي ومن خلال التطورات العلمية وتقنيات التواصل في مجالات انتقال المعلومة؛ انفجاراً في الأفكار وأساليب الحياة، يتجاوز معه الحدود الجغرافية والدولية، ما أدى إلى شيوع العادات والتقاليد، والعبادات والطقوس، وساعد على تداخل غير مسبوق في مفاهيم دينية هي في الأصل متمايزة، تظهر من خلالها تيارات فكرية ودينية تغمر بعضها أحياناً وتغذي بعضها أحايين أخرى، ومن هذه التيارات التي نفذت للعالم الغربي وانتشرت فيه بقوة عقيدة الطاوية وممارسات الطاقة، وما ترتب على ذلك من آثار على العالم العربي.

ولقد توافرت في العالم العربي الدراسات التفصيلية للطاوية وخصائصها، والرد عليها ونقضها، ونقد سلوكيات ممارسي الطاقة، وبيان خطورتها على عقيدة المسلم، في حين تقل الدراسات حول الطاوية في العالم الغربي والوقوف على الأسباب الفلسفية والعلمية، التي أدت لقبولها في الغرب خاصة، وما ترتب عليه من انتقال للعالم العربي. لذا جاء هذا البحث بعنوان: «**المتغير الأخلاقي المعاصر لظهور الطاوية وممارسات الطاقة**».

مشكلة البحث:

عرفت الطاوية قديما في المصنفات العربية والغربية، واعتبرت ثقافة وثنية صينية، لا تتجاوز حدود الصين خاصة، والشرق الآسيوي عامة، وفي فترة الستينات من القرن العشرين برزت الطاوية في أوروبا وأمريكا مندمجة في الفلسفة، وبعض العلوم الطبيعية، وأصبحت مقبولة وممدوحة، تلاها وبفترة؛ نشاط الطاوية في العالم العربي بأيدي عربية ومسلمة، صاحبه قبول واستحسان وتلقي من بعض العامة، فما المتغيرات الأخلاقية التي ظهرت في مؤلفات الفلاسفة والفيزيائيين الغربيين، وقبولهم الطاوية وممارسات الطاقة؟ ولماذا ظهرت الطاوية وممارسات في العالم العربي؟

أهداف البحث:

1- بيان مفهوم الطاوية والطاقة.

2- أسباب ظهور الطاوية وممارسات الطاقة في العالم.

3- تحديد الفلسفات والعلوم الطبيعية المؤدية لنفوذ الطاوية وممارسات الطاقة في العالم الغربي.

4- بيان المتغير الأخلاقي في المجتمعات الغربية والعربية لقبول الطاوية وممارسات الطاقة.

أسئلة البحث:

1- ما مفهوم الطاوية، ومفهوم الطاقة؟

2- لماذا ظهرت الطاوية وممارسات الطاقة في العالم المعاصر؟

3- ما الفلسفات والعلوم الطبيعية التي نفذت

منها الطاوية وممارسات الطاقة للعالم الغربي؟

4- كيف تغير الجانب الأخلاقي في المجتمعات الغربية والعربية من الرفض إلى قبول الطاوية وممارسات الطاقة؟

منهج البحث:

تتبع الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي.

الدراسات السابقة:

تناولت دراسات عديدة قديمة ومعاصرة ديانة الطاوية وما طرأ عليها من تطوير وشروح، وما انبثق منها من ديانات جديدة، وما ارتبط بها من طقوس وفلسفات[1]، كما اعتنت العديد من المؤلفات المعاصرة بنقضها، وبيان خطورتها على عقيدة المسلم[2]، وهي دراسات نافعة في نقدها وتحذيرها، في حين ينهض هذا البحث ببيان الخلل الأخلاقي في التحول إلى قبول الطاوية.

من جانب آخر تناولت بعض المؤلفات الطاوية في العالم الغربي، متعلقة بالجانب الفلسفي والعلمي.

فمن الدراسات المتعلقة بالجانب الفلسفي:

- هايدغر والطاوية، من العدم إلى البحث عن جلاء الفطرة. ديفيد تشاي. تعريب: سامي اليوسف. مجلة الاستغراب -2016م.

- Heidegger's hidden sources East Asian influences on his work-Reinhard May- Translated, with a complementary essay, by Graham Parkes London and New York-1996.
- Heidegger on the Way from Onto-Historical Ethnocentrism to East-West Dialogue- *Bret W. Davis- 6 (2016): 130–156.*
- Heidegger's thinking on the «Same» of science and technologyLin Ma- Jaap van Brakel- March 2014, Volume 47, issue 1, pp 19–43 - Continental Philosophy Review.

هذه الدراسات تناولت الجانب الفلسفي، وتؤكد نفوذ الطاوية في الفكر الفلسفي الوجودي الألماني، وهي لا تتناول الجانب الأخلاقي الذي أدى إلى ظهور الطاوية وممارسات الطاقة، كما لا تبين البواعث والغايات، ولا

---

(1) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (4/ 19- 35). وانظر: الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى، د. محمد العريبي (246)، وانظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، إشراف: جفري بارندار، ترجمة عبد الفتاح إمام (232-370). وانظر: التنسيب والولادات الصوفية، ميرسيا ايلياد، ترجمة: حسيب كاسوحة، (ص27) وما بعدها. وانظر: البوذية الفلسفة الحية، دايساكو إكيدا، ترجمة: محمود الهاشمي (51-64).

(2) انظر: الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة، د. فوز كردي. وانظر: الكونفوشيوسية ماضيها وحاضرها وموقف الإسلام منها، د. ناصر الشهراني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1432هـ. وانظر: رسالة الماجستير طاقة المكان (فينغ شوي) حقيقته=

=وتطبيقاته دراسة عقدية، إعداد: الطالبة منى الدوسري، كلية التربية، جامعة الملك سعود، 1439هـ. وانظر: دراسة استطلاعية لبعض الفلسفات الدخيلة (الفونغ شوي)، إعداد: د. تبرا خصيفان، د. عبير العواد، «مقال»، مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة، إبريل 2016م.

تتعلق بالجوانب الأخرى للبحث كجانب كالفيزياء النظرية، والطب البديل.

أما الدراسات المرتبطة بالجانب العلمي النظري:

- الطاوية والفيزياء الحديثة، استكشاف التماثلات بين الفيزياء الحديثة والصوفية الشرقية. فريتجوف كابرا. ترجمة: حنا عبود. دمشق، 1999م.
- طاقة الحياة. غاي براون. ترجمة: أحمد العمري.1424ه-2003م، مكتبة العبيكان.
- الأبعاد الميتافيزيقية لعلم الفيزياء المعاصرة. عسو رابح. رسالة ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة الجزائر. 2008-2009م.

الدراستان الأولى والثانية تجتمعان في التقريب بين الطاوية وممارسات الطاقة، وبين الفيزياء النظرية، وهي تجعل من قوانين الفيزياء أدلة على صدق فلسفة ممارسات الطاقة.

أما الدراسة الثالثة فتتناول ارتباط الفيزياء النظرية بالعلوم الفلسفية وخاصة جانبها الميتافيزيقي، دون التعرض لموضوع الطاوية في العالم العربي.

خطة البحث:

وتشمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع.

- **المقدمة:** وفيها مشكلة البحث، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، والدراسات السابقة، وخطة البحث.
- **التمهيد:** ويتضمن التعريف بمفهوم المتغير الأخلاقي، والمعاصر، والطاوية، والطاقة.
- **المبحث الأول:** المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة في العالم الغربي، وفيه توطئة، وثلاثة مطالب:
  - **توطئة:** نزعة الإلحاد في الفكر الغربي.
  - **المطلب الأول:** المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية في الفكر الفلسفي الوجودي.
  - **المطلب الثاني:** المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة عند بعض علماء الفيزياء النظرية في العالم الغربي.
  - **المطلب الثالث:** الطب البديل وعلاقته بالطاوية وممارسات الطاقة في العالم الغربي.
- **المبحث الثاني:** المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي، وفيه توطئة ومطلبان:
  - **توطئة:** واقع العالم العربي.
  - **المطلب الأول:** المتغير الأخلاقي وظاهرة تقليد الغرب في العالم العربي.
  - **المطلب الثاني:** المتغير الأخلاقي وتجارة الوهم.
- **الخاتمة:** وفيها أبرز النتائج والتوصيات.
- **قائمة المصادر والمراجع.**

* * *

التمهيد

يرتبط البحث بعدد من الاصطلاحات، مما يستلزم بيان معانيها.

أولاً: المتغير الأخلاقي.

يتكون المصطلح من كلمتين المتغير والأخلاق.

1- المتغير:

في اللغة: تغير الشيء عن حاله تحوّل، وغيّره حوّله وبدله، كأنه جعله غير ما كان، والغير الاسم من التغير(3).

وفي الاصطلاح يعرّف متغير البحث العلمي بأنه كل شيء يقبل القياس الكمي والكيفي، إذ من سمات المتغيرات؛ الكمية والكيفية والتأثر والتأثير(4)، والمتغيرات أنواع؛ فمنها المستقل وهو الفاعل والمؤثر في كافة المتغيرات، ومنها المتغير التابع، والمتغير الوسيط(5).

المنهج التجريبي في علم النفس وثيق الصلة بالمنهج التجريبي للعلوم عامة، إذ السلوك والخلق يتغير ويتبدل بحسب الرياضة والتعويد، أو تغليب منفعة، «لو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات»(6). يقوم الباحث في علم النفس بإنشاء موقف بما يتضمنه من شروط وظروف محددة لدراسة سلوك العينات، فيتحكم في بعض المتغيرات لتحديد العلاقة السببية بينها، والمتغيرات ثلاثة؛ هي المستقل، والتابع، والدخيل، أما متغيرات المجتمع فمنها الذكاء، والعمر، والخبرات التربوية، أو الأسرية، ومنها ما يتعلق بالمحيط كالدين، والثقافة الأخلاقية، وارتباطها بالسلوك والقرار الأخلاقي(7).

2- الأخلاق:

مفردها خُلُق، في اللغة «الطبع والسجية» وحقيقته أنه «صورة الإنسان الباطنة»(8).

وفي الاصطلاح: الخلق عام وخاص، فالعام «عبارة عن هيئة راسخة في النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية»(9)، والأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة، يطلق عليها لفظ الخلق حسن وقبيح(10)، أما الخاص فيراد

---

(3) انظر: لسان العرب، ابن منظور (5/ 40).

(4) انظر: منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية، عدد من المؤلفين، (ص19-20).

(5) المرجع السابق، (ص22).

(6) إحياء علوم الدين، الغزالي، (1/ 899).

(7) انظر: منهج البحث التجريبي في علم النفس، د. أسماء عجابي، مجلة التمكين الاجتماعي، مج1، (ع4)، 2019م، الجزائر. وانظر: المرجع في مناهج البحوث التربوية والنفسية، حسن شحاته، (ص64). وانظر:
Carlson, Kacmar, Wadsworth, The impact of moral intensity dimensions on ethical decision making: Assessing the relevance of orientation. Journal of Managerial Issues, 14(1), pp. 15-30.2002.

(8) لسان العرب، ابن منظور (7/ 86).

(9) إحياء علوم الدين، الغزالي (1/ 897).

(10) انظر: في الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام، محمد الجليند، (ص79). وانظر: كتاب الأخلاق، أحمد أمين، (ص22).

به لزوم تقوى الله وإصلاح السريرة «من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا، وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها، فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه وسيره، ما أمكنه»[11]، وقد وصف الخلق بأنه العقل «إن محبة المرء المكارم من الأخلاق، وكراهته سفاسفها هو نفس العقل»[12].

والأخلاق في ذاتها لا تتغير بتغير الزمان والمكان، فهي في جنسها ثابتة ومقبولة عند عموم البشر فهي فطرية «فطر الله ﷻ خلقه على محبة العدل وأهله وبغض الظلم وأهله، وهذه المحبة التي هي الفطرة كون المعنى حسناً، وهذا البغض هو المعنى بكونه قبيحاً، كذلك العقل أودع الله تعالى فيه أن يعلم الإنسان ما ينفعه ويفعله، ويعلم ما يضره ويتركه، وهذا في مجمله يمثل إجماعاً بشريا إذ لو لم يكن لهذه القضايا مبدأ في قوى الإنسان لم تشتهر في جميع الأمم»[13].

كما يمكن تحديد ضابط للخلق كالتالي:

- لابد للإنسان من أن يفرق بين الأخلاق حسنها وقبيحها إما بالفرق الشرعي فيفرق بين ما يحبه الله ويرضه، وبين ما يبغضه ويسخطه، أو يفرق بالفرق الطبعي بهواه وشهواته[14].

- ولأن الأهواء والشهوات متعددة بتعدد أصحابها ومتغيراتهم الخاصة، كان صياغة الضابط وفق التغير من الأفضل إلى الأدنى، ببيان موقف صاحب الخلق المتغير، ودواعيه وموقف النقاد من ذلك، فهل حقق المتغير الأخلاقي قيمة حقيقية بأن يعود الخلق على فاعله بحكم يحمد لأجله، أم لعاطفة تحمله على ذلك، أو الالتذاذ النفس والسرور بالفعل ذاته.

من خلال تعريف المتغير والأخلاق يمكن صياغة التعريف المركب للمتغير الأخلاقي من جانبين:

- هو تغير الفعل الأخلاقي عند الفرد تجاه مسألة مواجهة، صحيحة أو خاطئة، وفق مبادئه وقيمه الأخلاقية، وما ينتج عنه من اختيار بدائل.

- التغير في الفعل الأخلاقي عند الفرد ثم المجتمع، فيما يسود من مفاهيم تحدد الحسن والقبيح، وما يؤثر فيها ويغيرها من حال إلى آخر، وفق ضابط للتفريق.

ولأن مدار البحث يتناول المتغير في العالم الغربي؛ ثم ما تلاه من أثر على العالم العربي فلزم الوقوف على مفهوم الأخلاق في العالمين.

(11) كتاب الأخلاق والسير، ابن حزم، (ص91)، وانظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، (ص26).

(12) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، (ص16).

(13) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، (ص353 – 355).

(14) انظر: الحسنة السيئة، ابن تيمية، (ص125).

في الشريعة الإسلامية الأخلاق مصدرها ومنشؤها الدين، فلم يترك الله سبحانه عباده إلا وقد بعث لهم رسولاً منهم يدلهم على الخير وينهاهم عن الشر قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:90]، فالأخلاق في الإسلام أصيلة إذ مصدرها الكتاب والسنة، أيضا ما أقره الإسلام من أخلاق حسنة فأصبحت أخلاقا إسلامية.

ويرتبط بمفهوم الأخلاق في الشريعة الإسلامية مسائل؛ منها حسن الفعل وقبحه في ذاته، ومصدر التحسين والتقبيح هل هو الشرع أم العقل، ومتى يكون الفعل نافعاً ومتى يكون ضاراً، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب، فقد تنازعت الفرق الإسلامية فيها، قال ابن تيمية: «مسألة تحسين العقل وتقبيحه ففيها نزاع مشهور»[15]، فمن قال بالتحسين والتقبيح العقليين[16]، ومن قال العقل لا يحسن ولا يقبح قبل ورود الشرع[17].

قال شيخ الإسلام: «الحنفية وكثير من المالكية والشافعية والحنابلة يقولون بتحسين العقل وتقبيحه، وهو قول الكرامية والمعتزلة، وهو قول أكثر الطوائف من المسلمين، واليهود، والنصارى والمجوس»[18]، وقال رحمه الله في أن الناس «اتفقوا على أن الفعل يلائم الفاعل أو ينافره يعلم بالعقل، وهو كون الفعل سبباً لما يحبه الفاعل ويلتذ به، وسبباً لما يبغضه ويؤذيه، وهذا القدر يعلم بالعقل تارة، وبالشرع تارة، وبهما جميعا أخرى»[19].

وعند الوقوف على الأخلاق في العالم الغربي، نجد في تاريخ الكنيسة النصرانية مفهوم الأخلاق (moral theology) في منشأه مندمجا في التعاليم النصرانية الأولى، ثم لحق المفهوم جملة من أراء الإباء والفلاسفة الكنسيين، خاصة المتأثرين بفلسفة أرسطو، وفي الوقت الحالي يتعلق المفهوم بالعدالة الاجتماعية والاقتصادية وأخلاق الحرب[20].

في الفلسفة الغربية ليست الفكرة ببعيدة عن التنظير الكنسي، فيقرر أشد الفلاسفة إلحاداً صعوبة فصل الأخلاق عن اللاهوت، وأن العديد من المفاهيم الأخلاقية يصعب تفسيرها إلا على أساس افتراض وجود إله[21]، كما ربطت الأخلاق بالسلوك الفردي،

(15) انظر: القضاء والقدر، ابن تيمية، (ص302).

(16) انظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، (ص553) وما بعدها.

(17) انظر: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني، (ص38).

(18) القضاء والقدر، (ص302).

(19) القضاء والقدر، (ص373).

(20) Oxford concise Dictionary of The Christian Church, E.A. Livingstone، second edition, p395.

(21) انظر: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، بيرت راند راسل، (ص19).

فمادتها المشاعر والانفعالات وما يرتبط بها من أحكام، فالآمال والرغبات عنصر أساسي في الأخلاق، فذهب بعض الفلاسفة المتدينين إلى أن الغايات الأخلاقية تعبيرات عن إرادات الأفراد، وصراعها ما هو إلا صراع بين إرادات[22]، وبالتالي ربطها بما يترتب عليها، فما يساعد الناس على العيش في وئام يكون نافعاً، وما يدخل الشقاق يكون سيئاً، مع ضمانات للنفس بأكبر عدد من انفعالات الفرح، وأقل عدد من انفعالات الحزن[23].

ثانياً: المعاصر.

في اللغة: «العصر هو الدهر»[24].

وفي الاصطلاح: «المعاصر الزمن، ينسب إلى ملك أو دولة، أو التطورات طبيعية أو اجتماعية»[25].

ثالثاً: الطاوية.

(Tao Te Ching) مصطلح يستخدم في الوقت الحالي ليشير إلى الفلسفة الطاوية المتمثلة في نصوص رجالاتها مثل (تاو تي تشينج)، و(شوانج تزو)، و(لي تزو)، و(هو نان تزو)[26].

تعني الطاو في اللغة الصينية الطريق في معناه الشمولي والذي يدل على جوهر صيرورة الكون والطبيعة، وهو الطريق الذي يطرقه الإنسان في سعيه للتناغم مع منبع الحقيقة، ويطلق الطاو أيضاً على المطلق والمادة الأولية التي وجدت منها الأشياء[27]، و(تاو تي تشينج) هو الكتاب الذي تضمن تعاليم الطاوية، وهو يشمل أهم النصوص الفلسفية لها، وتعني تاو تشينج الطريقة والفضيلة، وهي الصفات والفضائل الطبيعية والغريزية التي تقابل الصفات الناتجة عن النواهي الاجتماعية[28]، وتعني أيضاً طريقة التفكير أو الامتناع عن التفكير لأنه أمر عارض سطحي يؤدي للجدل، والطريقة هي العزلة والتقشف والتأمل[29]، وينسب كتاب (تاو تي تشينج)[30] إلى حكيم صيني غامض السيرة

(22) انظر: الجانب الديني للفلسفة، جوزايا روسي، (ص117).

(23) انظر: علم الأخلاق، باروخ اسبينوزا، (ص271)، وانظر: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، (ص19).

(24) لسان العرب (4/ 575).

(25) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ص604).

(26) معجم الأديان، (ص728).

(27) انظر: كتاب التاو تي شينغ، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص30)، قصة الحضارة (4/ 31).

(28) انظر: كتاب التاو تي شينغ، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص30)، وانظر: الديانات الوضعية الحية، د. محمد العريبي، (ص 247، 248)، وانظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (4/ 26).

(29) قصة الحضارة (4/ 31).

(30) هو نص في الحكمة، بأسلوب شعري موجز يفتقد للترابط الظاهر بين فقرات فصوله، يتضمن ثلاثة جوانب: الميتافيزيقي والأخلاقي الاجتماعي، والسياسي، وهو ليس كتابا في الفلسفة ولا يطرح مقدمات منطقية تؤدي إلى نتائج، بل تدفق أفكار تلقائية، يعتمد على إدراك الفرد بصلته العضوية بالتاو حدسيا=

يدعى (لاو تسي) وتعني المعلم القديم[31]، تقدر فترة حياته ما بين القرن السادس وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد، كان موظفاً سياسياً ثم اعتزل وهم بمغادرة البلاد، فكتب نصوصا تشمل على خمسة آلاف كلمة[32]، تناول الشراح هذه النصوص وبالتالي تعرضت للتطور، من أهم الشراح (تشوانغ تزو) فتحولت إلى طريقة دينية تبنت العديد من ممارسات الساعية للسيطرة على الجسد واكتساب القوى الخارقة، كما داخلتها ممارسات وأفكار خيميائية وسحر[33].

والتاريخ الأصلي لهذه الطريقة يعود إلى الوثيقة في علم ما وراء الطبيعة والتي بدأ بها تاريخ الفكر الصيني وهي الوثيقة المعروفة باسم (أي تشينغ) (I Ching) كتاب التغيرات، كتبه (ون انج)، ترجع أصول هذا الكتاب إلى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد، وهو في أصله نص في العرافة والتنبؤ بالغيب، يعتمد على رموز من خطوط: نعم (يانغ –) العنصر الإيجابي الفاعل السماوي، عنصر الضوء والحرارة والحياة، لا (ين --) العنصر السلبي المنفعل الأرضي، عنصر الظلمة والبرودة والموت[34].

رابعاً: الطاقة:

يقابله في اللغة الصينية لفظ (كي) (ki) و(تشي) (chi)، يرتبط مفهوم الطاقة المتناول في الفلسفة الطاوية بالثنائية في كتاب التغيرات (يانغ-ين)، وما انبثق عنهما (تشي) ممثلا بالقوة المطلقة، هذه الفكرة انبعثت من معتقد صيني قديم (عبدة الطبيعة)، وأهم مقوماته الخوف من الطبيعة وعبادة الأرواح الكامنة[35]، ارتبطت هذه الديانة البدائية بالأرض والسماء لأنهما وجهان لوحدة كونية ونظام عالمي شامل يسمونه الطاو، أي الطريقة السماوية، فعبد الصينيون القدماء السماء واعتبروها الإله الأكبر ومنظم العلاقات الإنسانية، وبالتالي جعلوا نظام السماء ومسلك البشر الأخلاقي عمليتان متشابهتان، فجاءت الطاوية لتأخذ مكان السماء، ورغب الصينيون بخوارق طبيعية لاستمداد العون والقوة، وإذا كانت حكمة كتاب التغيرات تقوم على مفهوم التغير الدائم، فالعالم الأرضي متغير غير ثابت يقف على أرضية ثابتة غير متغيرة هي الطاو (الوحدة الكامنة) فكل حادث في العالم المرئي يتم بتأثير صورة أو فكرة في المستوى غير المرئي وعليه ما يحدث على الأرض

=لا عقليا بحيث ينعكس على سلوكه العام. انظر: كتاب التاو، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص31).

(31) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (4/ 30).

(32) انظر: الديانات الوضعية، (ص249).

(33) انظر: كتاب التاو (تي شينغ)، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص19-20).

(34) انظر: قصة الحضارة (4/ 27). وانظر: كتاب التاو، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص15).

(35) انظر: قصة الحضارة (4/ 29).

فهو نسخة لما يحدث في مستوى وراء الحس، والحكيم هو الذي يكون في تواصل مع ذلك المستوى الخفي[36].

***

المبحث الأول

المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة في العالم الغربي

توطئة: نزعة الإلحاد في الفكر الفلسفي الغربي.

الإلحاد في العالم الغربي نزعة فكرية ذات انساق متعددة مختلفة في أسبابها، منها التصادم بين النص الديني المحرف والعلم الطبيعي، وحركات الإصلاح الديني.

فارتبطت الفلسفة الإلحادية في الفكر الغربي بمواجهة الدين ووصفه بالسلبية، ودعوى فرضية الإله، ثم موت الإله، وأفول الدين[37]، وهي وإن اختلفت في انساق متفاوتة، فهي في المحصلة الظاهرة هي واحدة؛ تنادي بإقصاء الدين، ورفض الاعتقاد بوجودٍ خارج هذا العالم[38].

الإلحاد هو الباعث الحقيقي للطاوية في العالم الغربي، فعندما اصطدم الفكر بالأخلاق، وهي العقبة العسيرة لفلاسفة الإلحاد أمثال هيوم 1776م (Hume)، وكانط 1804م (Kant)في سؤالٍ حول الأخلاق، مصدرها العقل أم العاطفة، من هذه المسألة عجز البناء الفلسفي الإلحادي في توفير تبرير عقلي للأخلاق[39].

المطلب الأول: المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية في الفكر الفلسفي الوجودي.

الفكر الوجودي - أدب وفلسفة - موضوعه وجود الإنسان وما يتعلق به من موضوعات؛ الإله والإنسان، الأنا والأخر، الاغتراب الوجودي[40]، الحياة

(36) انظر: قصة الحضارة (4/ 260)، وانظر: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة، د. فوز كردي، (ص22). وانظر: كتاب التاو، ترجمة وتعليق: فراس سواح، (ص17).

(37) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، (ص365-387)، وانظر: تاريخ الفكر الغربي، غُنار سيكيربك، نِيلز غيلجي، (ص672)، وانظر: هكذا تكلم زرادشت، نيتشه، (ص24)، وانظر: فلسفة الدين، إشراف: عبد الرزاق بلعقروز، (ص262-264).

(38) انظر: طاقة الحياة، غاي بروان، (ص43، 51)، وانظر: الفينغ شوي، طاقة المكان، نانسيلي وايدرا، (ص65).

(39) ظهر ذلك في تمايز منهج البحث بين العلوم الأخلاقية والعلوم الطبيعية والمغالطة بينهما في فتوى هيوم، وفي اضطراب كانط في المعرفة بالله والحرية والخلود. انظر: فلسفة هيوم الأخلاقية، د. محمد الزين، (ص79) وما بعدها، وانظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، (ص220)، وانظر: نقد العقل الخالص، إيمانويل كانت، (ص40، 57)، وانظر: المدخل إلى نقد العقل الخالص، كانط، (ص103)، ضمن كانط وأنطولوجيا العصر. وانظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم رايت، (ص284)، وانظر: بعد الفضيلة، السدير ماكنتاير، (ص122).

(40) عند الوجوديين النصارى هو تشديد على الشر الأخلاقي مما يمنع تجسد (المسيح) في الوجود الإنساني، ويجعل الكائن=

والموت، القلق واليأس، ومواجهة الموت والتطلع له[41]، هذه الموضوعات متداخلة ومعقدة مما جعلهم متناقضين في فلسفتهم من جانب، وأمام نقد شديد من المعارضين من الفلاسفة ورجال الدين والأدباء والأخلاقيين قديما وحديثا من جانب أخر[42].

صراع الوجودي المعاصر لتأسيس علم لوجود الواقع الإنساني وارتباطه بالظاهراتية (الفينومينولوجيا)[43]، دفع به للبحث عن أي مصدر لمواجهة المشكلات الفلسفية الوجودية، وما ينتج عنها من اصطدام بالواقع، فهو يستخدم ديانات وفلسفات قديمة ليواجه بها الديانة النصرانية من جهة، ويحل بها مشاكله الوجودية من جهة ثانية.

أولاً: عجز الفلسفة الوجودية عن حل مشكلات العدم والوجود.

تناولت الفلسفة الوجودية الزمان باضطراب وقلق خاصة في الماضي وعلاقته بالحاضر، فجعلوه استغراق في النسيان يجعل الحضور غائبا عن الشعور، فيطلق اسم الوجود على الحضور اللازماني، ليلتقي فيه الماضي والحاضر والمستقبل خارج بعضها بعضاً، وبعبارة وجودية هو زمان العود الأبدي[44] والمنبعث من الفلسفة اليونانية في مقولة بارمنيدس 540ق.م (Parmenides) «ليس للوجود ماضٍ ولا مستقبل، لكنه في حاضر لا يزول»[45]، فاستخدم نيتشه 1990م (Nietzsche) لهذا

=الإنساني مشغول ومحاط بكينونة عدائية تتمثل في اعتداءات الكون التي يشعر بها الوجودي كغير على الأنا. انظر: مدخل إلى المذاهب الوجودية، (ص50).

(41) راجع في ذلك المذاهب الوجودية من كيركيجارد إلى جان بول سارتر، ريجيس جوليفيه، (ص43، 66، 146)، والنزعة الفلسفية في الأدب الوجودي فرانز كافكا أنموذجا، د. حسين اليوسفي، (ص49، 93، 146، 223)، انظر: مدخل إلى المذاهب الوجودية، إيمانويل مونييه، (ص23، 24). وموت التراجيديا، جورج شتاينر، (ص31، 115). وانظر: التعليقات على مسرحية:
Waiting for Godot -Samuel Beckett,p122.

(42) انظر: كتاب الخواطر، بليز بسكال، (ص24-290)، وانظر: بعد الفضيلة، السدير ماكنتاير، (ص125)، وانظر: روح الفلسفة المسيحية، إيتين جلسون، (ص96).

(43) علم الظواهر (الظاهراتية) الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر كما هي عليه في الزمان والمكان، وهو مختلف عن دراسة أسباب وقوانين الظواهر، وعلم الظاهراتية الوجودي هو الذي يشتمل على وصف ما يحيط بالإنسان لأنهم جعلوا من وجوده موضوع تأملاتهم المنهجية. انظر: مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، د. أنطوان خوري، (ص35)، وانظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا (2/ 36).

(44) تتردد هذه الفكرة كثيرا في مؤلفات فلاسفة معاصرين إما ملاحدة أو من دعاة الدين الإنساني الجديد قارن مقدمة مقالة عبادة الإنسان الحر، برتراند راسل، (ص10) وما بعدها، وراجع: فاوست لجيته، (ص26) وما بعدها.

(45) راجع أقوال بارمنيدس في الوجود واللاوجود: الفيزياء السماع الطبيعي، أرسطو، (ص18 -19)، وانظر: تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل (1/ 100)، وانظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص28-29).

العود الأبدي شخصية زرادشت (Zoroaster) لنقض النصرانية[46]، وسعى لبناء دين إنساني جديد من خلال قصيدة رمزية يعبر عنها بفم زرادشت[47]، هذا الموروث النيتشوي فتح بابا للوجودية في استلهام الآخر لحل مشاكله، مع ما لها من تأثير في عمقها الفلسفي على الفلسفة الوجودية وأتى بحصاده في اللاحقين من الوجوديين.

واجه هايدغر 1976م (Heidegger) الوجود بفلسفة تعجز عن حل مضامين العدم والوجود، وهو يسعى للوجود الإنساني العيني منفصلا عن الوجود عامة[48]، بما يسميه فلسفة الكينونة[49]، فالموجود الذي يحقق ماهية الوجود في أعلى مراتبها والذي يستطيع أن يسأل نفسه عن الوجود، يكون الموجود (أنا) وبالتالي هو الموضوع الممكن والوحيد للبحث، يسميه هايدغر (Le Dasein)[50]، فالإنسان لا يوجد ولا يمكن أن يوجد ككائن تاريخي إلا لأنه كائن زماني، انفرد هايدغر بهذا الموقف[51]، وبالتالي واجهته مشكلة أخرى في بنائه الفلسفي من الأنية للوجود العيني الفردي، إلى كينونة الوجود العام، الأمر الذي أربك الشراح لكتابه الوجود والزمان[52]، ثم موضوعات القلق ومواجهة الموت، والتي بقت دون حل، هذا الإشكال في فلسفة هايدغر أو غيره، هو أمر اعتيادي في كثير من الفلسفات التي تصطدم بالواقع فتتناقض معه[53]، وليست هذه مشكلة هايدغر ولا السبب في اختياره لهذا البحث، إنما في تعقيد واشكالات فلسفته في الجلاء والعدم والقلق من الموت،

(46) انظر: تاريخ الأدب الألماني، كورت روتمان، (ص137).

(47) انظر: على دروب زرادشت، ستيبان أودويف، (ص7). وانظر: The Terror of the year tow thousand-by Etienne Gilson - university of St. Michael's College Toronto1984.

(48) انظر: المذاهب الوجودية، ريجيس جوليفيه، (ص80)، وراجع الهامش (1) من نفس الصفحة.

(49) شرحها هايدغر بقوله: «ليست وجود الإنسان، وإنما الوجود في مجموعة، ومن حيث هو كذلك». انظر: المذاهب الوجودية، (ص80).

(50) كلمة ألمانية، تترجم في العربية بالأنية، حدد هايدغر= (Le Dasein) أنها: «في جوهرها كون الإنسان شخصا معينا»، لهذه الكلمة غموض نبه إليه شراح هايدغر، ومعناها من الناحية الاشتقاقية الوجود هناك وفي الإنجليزية (being there)، لتشير إلى الوجود المفرد العيني تارة، وكينونة الوجود الإنساني عامة تارة أخرى، أو هو نوع معين من التموضع أو التمظهر التي يمتلكها البشر. انظر: المذاهب الوجودية، (ص82)، وانظر: مدخل إلى المذاهب الوجودية، (ص44)، وانظر: مقدمة الترجمة العربية لكتاب الكينونة والزمان، (ص35) وما بعدها.

(51) انظر: هايدغر ضد هيغل، عبد السلام بنعبد العالي، (ص49).

(52) راجع السابق، (ص82).

(53) تمثل المدارس والمذاهب الفلسفية مراحل تنقض بعضها بعضا، أو تحاول حل مشكلاتها، وهي لا تتوقف عند قول واحد بل تتطور وقد تشمل احتمالية القولين عند عدد من الفلاسفة، انظر: مقدمة كتاب تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل، وانظر: نصوص نيتشه تجاه الفلاسفة في كتابه ما وراء الخير والشر، (ص18).

وقبول الموت كوجود وعَود أبدي، وبقاء هذه التعقيدات غير منحلة أولا، ومشكلة عنصريته وموقفه تجاه كل ما هو غير ألماني خاصة وغير أوروبي عامة ثانيا، والثالثة تكتمه على مصادر فلسفته الوجودية، ثم علاقة الطاوية بذلك كله من خلال المتغير الأخلاقي في الرابعة.

ثانياً: المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية عند هايدغر.

عرف الألمان الطاوية ففي القرن الثامن عشر قاموا بترجمات وتدوينات عنها، ولعل أشهر التدوينات الفلسفية هي كتابات جورج هيغل 1831 (Georg Hegel) ضمن محاضراته في فلسفة التاريخ(54)، وقد عرف هايدغر هذه الديانة وأطلع على مؤلفات للألمان حولها في بداية حياته العلمية(55)، ولذا تكون دراسة هايدغر وموقفه من الطاوية والمتغير الأخلاقي أساسية ومطلبا أخلاقيا، فهو من أبرز أعلام الوجودية في الوقت الحالي، لذا ترتكز أهمية دراسة علاقته بالطاوية والمتغير الأخلاقي في أربعة أمور.

1- مشكلة القلق والعدم والوجود في فلسفته.

الإنسان عند هايدغر يقلق كونه يدرك أنه محكوم في النهاية بالموت الذي هو العدم نفسه، هذا القلق ليس منشأه الشعور بالذنب بعد ارتكاب خطيئةٍ ما، كما عند كيركيجارد(56)، وإنما هو الخوف من العدم(57)، فيستحيل القلق إلى عزلة لكينونة حرة، يعزلها القلق للانفراد بالنفس(58)، ويركز هايدغر بشكل خاص على أهمية تصور الموت أنها العلاقة التجريبية مع الموت، والتي يجب عدم الخلط بينها وبين معرفة عامة عن الموت ودخول الوفاة في التجربة(59)، فالإنسان يفكر في الموت دوما بوصفه قادماً، وبالتالي توقع الموت وتحققه الفعلي وانتظار ذلك هو قفز خارج الممكن، وهو إمكانية الوجود الأصيل(60)، في هذه المرحلة عجز هايدغر عن التحقق من وجودها الأصيل مما جعله يبحث خارج الوجودية عن منفذ يحقق له القفزة.

2- موقف هايدغر تجاه كل ما هو غير ألماني وأوروبي.

احتدم النقاش بين النقاد الغربيين بعد إعادة

---

(54) العالم الشرقي، المجلد الثاني من محاضرات في فلسفة التاريخ، هيغل، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، (ص91).

(55) الترجمة الأولى كانت باللغة الإنجليزية عام 1788م، وبحلول عام 1844م كان مترجما إلى اللغتين الفرنسية والألمانية كما ورد ذكره في كتابات الفلاسفة الألمان كهيغل وشوبنهور، راجع: مقدمة المترجم: فراس سواح لكتاب التاو، (ص5) وما بعدها. وانظر:
Heidegger on the way from onto-historical Ethnocentrism to East-West Dialogue- Bret.W. Davis.

(56) انظر: المذاهب الوجودية، ريجيس جوليفيه، (ص50).

(57) انظر: الكينونة والزمان، مارتن هايدغر، ترجمة وتعليق: فتحي المسكيني، (ص278-280).

(58) انظر: السابق، (ص357-358).

(59) انظر: السابق، (ص433).

(60) انظر: السابق، (ص465-469).

نشر (Black Notebooks)[61] لما تضمنته عنصرية لهايدغر، هذه الكتيبات المتسلسلة المكونة من ألف صفحة؛ تمثل تصوراً عن عمق ارتباط هايدغر بألمانيا، وأن الألمان وحدهم المفكرون، وهم نخبة الفكر والشعر، وهم الرعاة للغرب وأن خسارتهم الحرب مجرد ظاهرة سطحية للتصحر العدمي فالحرب لا تقرر شيئاً[62]، كما تكشف هذه الكتيبات ولأول مرة عن مدى معاداة هايدغر لليهود، حيث رأى فيهم عملاء للحداثة التي شوهت روح الغرب[63]، وموقفه من فكر الشرق الآسيوي أكثر عنصرية، فلم يعترف بأي تقارب معرفي وفلسفي مع الفكر الآسيوي - وهو حقيقي وموجود - ورأى أنهم وبشكل عام شيء تحتاجه أوروبا للحماية منه، وأن أحد الشروط للخلاص الأوروبي هو حماية الشعوب الأوروبية من الآسيويين الذين هم أقرب للأسطرة منهم للواقع[64].

إن من الصعب فهم أسباب سماح هايدغر بنشر (Black Notebooks) ضمن المجموعة الكاملة، على ما حوته من مجازفات وتطاولات قد تجلب على فلسفته نقداً لاذعاً، ولماذا أبقى هذه الكتيبات لفترةٍ من الزمن دون نشرها[65].

3- مصادر هايدغر الآسيوية.

نظرًا لأن هايدغر كان متحفظًا جدًا بشأن معرفته بأفكار شرق آسيا، وبالنظر إلى الوسط الفكري الذي نشأ فيه تبدو هذه المعرفة مبكرة، فمن مقارنات نصية وثيقة بينت بأن تركيبات هايدغر لأفكاره الرئيسية قد تأثرت بقراءاته الأولية للترجمات الألمانية للطاو، ونصوص الزن (Zen)، مع مشاركته في ترجمة فصول مختارة من لاوتزي (Laozi) فقد كان مستشاراً في طبعة (Zhuangzi) في عام 1930[66]، وهو حدث يشير إلى معرفة سابقة، بما يثير الاستغراب من تحفظ هايدغر العام فيما يتعلق بمصادر

(61) تمت ترجمة للمجلد 94 من كتاب مارتن هايدغر (Gesamtausgabe) الأعمال الكاملة حيث ظهر الأصل الألماني بعد وفاته في 2014م. وهي كتيبات ملاحظات (حوالي 5 × 7 بوصات) ذات أغلفة سوداء استند إليها الفيلسوف لأفكار وملاحظات متنوعة على مدار أكثر من أربعين عامًا، من أوائل الثلاثينيات إلى أوائل السبعينيات. نشرت الكتيبات بالترتيب الزمني، وتتوافق الخمسة هذه مع الأعوام 1931م-1938م. إجمالاً هناك ثلاثة وثلاثون من أصل أربعة وثلاثين، إذ الكتيب الأول مفقود. انظر مقدمة المترجم في:

Martin Heidegger-Ponderings II-VI Black Notebook 1931-1948, Richard Rojcewicz.

(62) Heidegger on the Way from Onto-Historical Ethnocentrism to East-West Dialogue- *Bret W. Davis,* pp 148.

(63) Heidegger and the Jews: The Black Notebooks Donatella Di Cesare, pp9.

(64) Heidegger, M, Haas, A. Europe and German philosophy. The New Yearbook for Phenomenology and Phenomenological Philosophy 6, pp. 331-340.

(65) Heidegger on the way from onto-historical Ethnocentrism to East-West Dialogue- Bret.W. Davis- Gathering; The Heidegger Circle Annual,6, (2016) ;130-156. Heidegger and the Jews: The Black Notebooks Donatella Di Cesare, pp9.

(66) Rising sun over Black Forest Heidegger's Japanese connections, Reinhard May, Translated, with a complementary essay, by Graham Parkes, Heidegger's hidden sources, East Asian influences on his work, pp83-125.

أفكاره، إذ من السمات المهمة في التطور الفلسفي لهايدغر ذلك التواصل خلال العشرينات من القرن الماضي مع عدد من العقول اليابانية من الطلاب اليابانيين القادمين لألمانيا لدراسة الفلسفة، وزيارات بعضهم لبيته للتحاور في موضوعات من الطاوية والزن حول الوعي والموت والعدم، وتصور الإله أنه العدم المطلق، إلى حد جعل ما ورد في كتاب الوجود والزمان تشابه أقرب للتطابق مع أفكار بعض الطلاب اليابانيين ومدرسة كيوتو[67].

وفي مناقشة لمصادر هايدغر المخفية، بدا من الممكن العثور على سمات تاوية في كتابه (الوجود والزمان) فحول الوجود والعدم ورد في الطاو «الوجود واللاوجود ينجم بعضهما عن بعض»، «أنظر إلى البيت الفارغ حيث يولد السطوع»[68]، «الشيء ولد من اللاشيء»[69]وفي الجلاء في العدم، في الطاو «العدم والجلاء الاسرار والتجليات أمران سيان»[70]، وفي العلاقات المعقدة بين اللغة الطريقة والتحدث، في الطاو «الكلام الكثير يقود إلى الصمت»[71]، وفي قبول القلق «تخل عن المعرفة واستدع الهم والقلق»[72]، وفي العود الأبدي «الامتداد في المكان بلا نهاية والامتداد بلا نهاية يعني العودة إلى نقطة المبتدئ»[73]، وفي قبول الموت «عندما يفقد الناس خوفهم من الموت لا نهددهم بالموت»[74]، هذا الانسجام المحدد مسبقاً بين فكر هايدغر وأفكار الطاوية ترجع لعام 1910، وأن النصوص التي عرفها هايدغر تلك الفترة أو ما قبلها كانت من خلال الترجمات الألمانية مثل: ترجمة فون ستراوس (1870)، وترجمة فيلهيلم (1911) لكتاب الطاو للاوتسي، هذا التشابه مع الأفكار الطاوية ونصوص(Zen) سابقة على تأليف كتاب الوجود والزمان، بل أغلب مؤلفات هايدغر متأثرة بالفكر الطاوي وفلسفة الزن، فقد كتب كارل جاسبرز (1969) (Karl Jaspers) إلى صديقه هايدغر ليشكره على إرسال ثلاثة كتب تم نشرها مؤخرًا)ما هو الميتافيزيقيا؟)، و(حول الحقيقة)، و(رسالة عن الإنسانية) يقول: «أسئلة كثيرة تثار بالنسبة لي، فهي

(67) راجع على سبيل التوسع في تاريخ الزيارات واللقاءات بين هايدغر والطلاب اليابانيين وموضوعات الحوار بينهم وتأثير مدرسة كيوتو خاصة مع تنابي هاجيمي فيلسوف الموت والذي يعد ثاني أكبر شخصية في الفلسفة اليابانية بعد نيشيدا كيتار والذي كام متمكناً من الفلسفة الألمانية المثالية والكانطية الجديدة على وجه الخصوص حيث استطاع شرحها بشكل تجريبي على ممارسة بوذية الزن وتفعيل المفهوم البوذي للعدم انظر:

Heidegger on East-West Dialogue: Anticipating the Event, Me Lin, (New York: Routledge, 2008).

(68) كتاب التاو تي تشينغ، لاو تسي، (ص36).

(69) السابق، (ص75).

(70) السابق، (ص35).

(71) السابق، (ص39).

(72) السابق، (ص54).

(73) السابق، (ص60).

(74) السابق، (ص110).

تلفت النظر إلى حد ما للأفكار الآسيوية، مع أنني ضعيف في فهمها، ومع ذلك أجد نفسي جازما حول أفكارك في «الوجود»، «الجلاء في الوجود»، «الوجود في الوجود» وارتباطه بنا، و«التذكير بالوجود نفسه»، يبدو أنني رأيت شيئًا من هذا القبيل في آسيا»[75].

4- المتغير الأخلاقي عند هايدغر تجاه الطاوية.

بالرغم من عنصرية هايدغر تجاه الفكر الآسيوي، واعتداده بالأصل الأثني – الأصول الفلسفية اليونانية – عند المقابلة، في نفس الأمر ينقل العديد من الأفكار الطاوية وفلسفة الزن لمؤلفاته، هو تحول من المقبوح إلى المقبول يبرره فشل فلسفته الوجودية في حل مشاكل الوجود الإنساني، لكن ذلك التحفظ في المصادر والتكتم عليها لسنوات تبين متغيراً لا أخلاقياً عند هايدغر في مدى تنازلاته، تجاه ما هو غير ألماني، فقد أقر هايدغر لاحقاً بمصادر فلسفته وصنف في ذلك مؤلفاً أبدى فيه احتراماً وانبهاراً بالمضامين الطاوية في العدم والصمت والسكون، والجلاء في العدم، والتطلع للموت وانتظاره دون القفز نحوه بالانتحار، وتحقق العود الأبدي، وغيرها ما حقق لهايدغر سكوناً وإيماناً وثنياً جعله ينكر وصفه بالإلحاد[76]، إلا إن المسألة الأخلاقية لا تتوقف هنا؛ ليس في النقل من الآخرين ونكران دورهم – وهو قبح علمي وأخلاقي – بل أيضاً في التملص وتأجيل الإعلان عنه[77] من ناحية، وتزييف النقل من ناحية أخرى.

تزييف النقل من المؤلفات الطاوية الوثنية ودفع القارئ لقبولها، يعد خيانة للمصدر في تحريفه، وتدليسا على القارئ ليقبل ما يصنف على أنه فلسفة وجودية أصيلة، ففي نقل هايدغر من نصوص الطاو يمكننا «أن نتهمه بانتقائية الاختيار بما يلائم احتياجه لا بما يعنيه النص نفسه، فهو يفعل ذلك دون أن يأخذ سياق النص الأصلي بعين الحسابان»[78] خاصة في أهم معاني الطاو فعمد لبناء معاني جديدة مخالفة في العدم والوجود، فيعطي الأولوية للوجود، فالجلاء عنده يدل على انكشاف الوجود[79] في حين أن الجلاء عند الطاوية هو البوابة الغامضة إلى العدم المحيط بكل شيء[80]، واذا كان العدم والظلام هو الأصل في الطاو «إذا ما دارت دائرة العدم ظهر الوجود، فليس يجيء من العدم مثال ذاته»[81]

(75) Heidegger's hidden sources, East Asian influences on his work, Graham Parkes, pp83-125.

(76) انظر: مذاهب الوجودية، ريجيس جوليفيه، (ص82).

(77) صرح هايدغر بتواصله مع الفكر الآسيوي في كتابه محادثة حول اللغة بين ياباني ومستعلم وذلك بعد ثلاثين عاما من الصمت الكامل.

(78) هايدغر والطاوية من العدم إلى البحث عن جلاء الفطرة، ديفيد تشاي، ترجمة: سامي اليوسف، الاستغراب 2016م، (ص87-116).

(79) انظر: الكينونة والزمان، مارتن هايدغر، (ص135).

(80) انظر: كتاب التاو تي تشينغ، لاو تسي، (ص45).

(81) الترجمة الكاملة لكتاب ليتزو فيلسوف الطاوية، ترجمة: محسن=

فإن هايدغر يستخدمه كغطاء مجازي بين الموجود والوجود، ولأن الطاوية عقيدة لها مبادئ روحية خاصة تجاه الإنسان والوجود، وبالتالي تضمّن فلسفة هايدغر لهذه العقائد جعل مشروعه الوجودي عاجزاً عن التقدم والوضوح، مما ساعد على حمل أفكاره وفق تأويلات مختلفة إلى حد اعتبارها خلاصاً غنوصياً، وهو مع ذلك الاضطراب قد أضر بالفكر الغربي أكثر حين مكن الفكر الطاوي خاصة في مفهوم دورة التولد، وإعادة الظهور والكمون أو العود الأبدي من النفوذ إلى الوسط الثقافي في ألمانيا ثم أوروبا، فخطورة الفكر الوجودي وهو بهذا التلبس بالطاوية وتحوله إلى ثرثرة يومية بين عامة الناس، يصور وجود الإنسان وجوداً بلا جدوى ليكون وعياً كئيباً، وتأرجحاً بين ماضي وحاضر أشبه بالإغماء اللاشعوري[82].

المطلب الثاني: المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة عند بعض علماء الفيزياء النظرية في العالم الغربي.

لا يمكن أن ينشأ فكر في بيئة مختلفة دون وجود محيط يمكنه من النمو والاستمرار، فقد ظهر في أوروبا وأمريكا الشمالية ما يسمى باللاهوت الطبيعي (Natural theology)[83]، والذي يناقش موضوعات ترتبط بمعرفة الإله اللانهائي، واعتبار العلوم المتعلقة بالوحي وبعثة الأنبياء من علم الفلك أو الكيمياء[84]، نشطت هذه الموضوعات بين أكاديميين وفلاسفة وقضاة ومحامين، من أشهر دعاتها آدم لورد جيفورد 1887م (Gifford Lord Adam)[85] من خلال وصيته التي

=فرجاني، (ص45).

(82) انظر: مدخل إلى المذاهب الوجودية، عمانويل مونييه، ترجمة: هاني بيوس حنا، (ص15، 56-60).

(83) وهو فهم الطبيعة ووجود الرب وواجب الإنسان نحوه، وقد اعتقد في العالم الغربي أن الحرية والخلود للبشر ممكنة منطقياً مع الأخذ بالاعتبار الفكر والتجربة الإنسانية، وهو يتعارض مع الوحي وبعثة الأنبياء والرسل، ويعد اللاهوت الطبيعي ممثلاً في الوحي الذاتي عند بعض دعاته هو الأساس الوحيد المقبول للفهم اللاهوتي وعلم الدفاع عن العقائد النصرانية، هذا المعتقد ظهر في التوماوية، والأرثوذكسية المحدثة. انظر: معجم الأديان، تحرير: جون هيلنس، (ص491).

(84) راجع وصية جيفورد:
https://www.giffordlectures.org/lord-gifford

(85) محاضرات جيفورد سلسلة من المحاضرات جاءت تحقيقاً لوصية أدم لورد جيفورد، وتهدف لنشر دراسة علم اللاهوت الطبيعي، أي معرفة الرب بالطرق العلمية، قدمت المحاضرات في عدد من الجامعات الاسكتلندية .يتم تقديم الموضوعات من قبل عقول مختلفة، لا يخضع المحاضرون المعينون لأي اختبار، أو يقعون تحت أي قيد في تعاملهم مع موضوعهم؛ حيث يناقشون بحرية جميع الأسئلة المتعلقة بمفاهيم الإنسان عن الإله، وأصلهم، وطبيعتهم، وحقيقتهم. المحاضرات عامة وشعبية، ليس فقط لطلبة الجامعات بل للمجتمع بأسره ولمن هو دون شهادة الثانوية العامة، تكون الرسوم غالبا قليلة لضمان وصولها للجمهور العام والشعبي. انظر:
https://www.giffordlectures.org/lord-gifford

رصدت الأموال لنشر المحاضرات حول هذا المعتقد بين الناس عامة، واستقطاب المحاضرين من كافة الأديان والمذاهب بل اللاأدريين[86] أيضاً، هذا النشاط مستمر وفاعل حاليا بين بعض الفزيائيين خاصة النظريين[87]، كما نشطت بعض أبحاث الفيزياء النظرية من خلالها، في ارتباطات بين دعاة اللاهوت الطبيعي، وبعض الفيزيائيين المعتنقين للفكر الطاوي وربطها بالكشوف العلمية في الفيزياء النظرية، وهو الجانب الثاني لنفوذ الطاوية في العالم الغربي.

أولاً: ربط الفيزياء النظرية بالطاوية وممارسات الطاقة عند بعض علماء الفيزياء النظرية.

تقوم الميكانيكا الكلاسيكية[88] على برهنة أن حدوث ظاهرة ما يتم بشكل موضوعي وملموس في مكان وزمان محدد في إطار القواعد العامة للميكانيكية الكلاسيكية، وفق معادلات تتطابق نتائجها مع التجربة، لكنها تفشل في التنبؤ بالنتيجة للأجسام ما دون الذرة[89]، لذلك ظهرت فيزياء الكم[90] لتربط المتغيرات الموضوعية بارتباطات غير موضوعية لا يمكن التنبؤ بها كلاسيكياً[91]، فأصبحت نظرية الكم مرتبطة بتوقعات إحصائية ليست مكافئة لليقين إلا في حالات قليلة وذلك تبعا للظروف، وحالة المراقب، وفي كل مرة تجري القياسات المتتالية، أو مع تغير ترتيب مؤثرات القياس تتغير النتائج بدورها[92]، ولا يعني هذا أنها فوضوية، إنما لا أسباب لها موضعية فهي ارتباطات آنية، هذه الاحتمالية جعلت اينشتاين (1955) (Albert Einstein) يرتاب من تلك العشوائية[93] ويرفض تفسير نظرية الكم

---

(86) (agnosticism) فرقة سفسطائية تقول بالتوقف في وجود كل شيء، وعند المحدثين تطلق على من ينكر قيمة العقل وقدرته على المعرفة، وتزعم بأن القيم الحقيقية للقضايا الدينية أو الغيبية غير محددة ولا يمكن لأحد تحديدها، خاصة المتعلقة بالقضايا الدينية وجود الله وما وراء الطبيعة. انظر: المعجم الفلسفي (2/ 258).

(87) facing Gaia Six lectures on the political theology of nature, being the Gifford lectures on Natural Religion, ednburgh.18th -28th of February 2013.

(88) وهي قوانين القوى التي تمارس فعلها على جسم في حالة سكون، توصف بمقدارها واتجاهها ونقطة تأثيرها، وتعد من ضمن قوانين التوازن. انظر: فلسفة الكوانتم، رولان أومنيس، (ص61).

(89) انظر: الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث، فيرنر هايزنبيرغ، مقدمة ديفيد لندلي، (ص30)، وانظر: (ص199) من الكتاب نفسه.

(90) هي مجموعة من النظريات الفيزيائية ظهرت في القرن العشرين، وذلك لتفسير الظواهر على مستوى الذرة والجسيمات دون الذرية، تعتبر خاصية الاحتمالات من أهم سمات الكوانتم، لذا وضعت قواعد صريحة لحساب هذه الاحتمالات. انظر: فلسفة الكوانتم، (ص198).

(91) انظر: الفيزياء والفلسفة، (ص149). وانظر: فلسفة الكوانتم، (ص171).

(92) انظر: الفيزياء والفلسفة، (ص39، 40).

(93) انظر: فلسفة الكوانتم، (213).

هذه بمقولته الشهيرة «الإله لا يلعب النرد» في القانون، والنظام في الطبيعة، إذ رفض عشوائية نظرية الكم التي تبرز الاحتمالية(94)، وطرح فكرته بخصوص المتغيرات المخفية، بذلك نشأ اختلاف بين الفيزيائيين لإظهار الفرق بين المفاهيم الكلاسيكية ومفاهيم الكم وثارت المجادلات العلمية بينهم تباعاً لذلك (95)، ثم المحاولات للتوفيق بين نظرية الكم والنظرية النسبية(96)، وأهمية النظام في فيزياء ما دون الذرة والغموض الذي يكتنفها، والعمل على بناء نظرية نسبية كمومية متماسكة عن المادة(97)، تطورت المجادلات العلمية عند بعضهم إلى حد اللجوء إلى السبل السياسية للانتصار لآرائهم، بسبب خوفهم من بداية انهيار العلم، كما أن اللغة المستخدمة للتعبير عن الوضع الجديد كانت عبارات حماسية سببت سوء فهم(98).

ثانياً: الدعوة للطاوية وممارسات الطاقة من بعض علماء الفيزياء النظرية.

الاختلاف واقع في مجال العلوم الطبيعية والتجريبية، ولا مشكلة فهذه طبيعة هذه العلوم، إنما المشكلة في دعاة الوثنية من بعض الفزيائيين ممن تلقف هذه الكشوفات وفق العبارات (اللغة) الجديدة في فيزياء الكم، وجعل اللاهوت الطبيعي ممهداً ومنطلقاً أوروبياً، ثم الربط بين ذلك وبين الوثنيات الشرق آسيوية ممثلة في الطاوية يقول أحد الفيزيائيين من معتنقي الطاوية «العلم الحديث بكل آليته أعاد اكتشاف الحكمة القديمة التي يعرفها الحكماء الشرقيون...إنما نحتاجه التواشج بين الحدس الصوفي والتحليل العلمي»(99)، فجاءت أوجه التقريب وفق احتمالية النتائج ولا يقينيتها ومن أثر حالة المراقب فيها، في مقابلة مع أحوال الصوفي الآسيوي المتقلبة ومقاماته المختلفة بحسب حاله واندماجه مع الكائن الكلي، لذا الطبيعة عند الفيزيائي وفق التصور

(94) God Does not Play dice The Fulfilment of Einstein's Quest for law and order in Nature, David A. Shiang, Pustak Mahal, 2008,1st edition, Delhi.

(95) هذا الصراع بين المختصين في العلوم الطبيعية مرتبط بجوانب أصيلة في علم الرياضيات والمنطق، وذلك حين يضعف اليقين وينهض الشك محله راجع على سبيل التفصيل فلسفة الكوانتم، (ص138).

(96) النظرية النسبية: عامة وخاصة، العامة تهتم بالقيم الفلكية وحركة الأجرام الكونية، أم النسبية الخاصة تهتم بقيم الجزئيات الصغيرة وتفاعلاتها، فنصت على أن حركة الأجسام تكون نسبية مع تغير الوقت، وأن مفهوم الوقت لم يعد ثابتاً ومحددا، فلا ثمة مكان وزمان مطلق بل مقاييس للمسافة والوقت تعتمد على حركة الملاحظين وبالتالي ومع تفاوتهم هي تقريبية، لذا استخدم فيزيائي الكم هذه النسبية الخاصة. راجع على سبيل التفصيل فلسفة الكوانتم، (ص176) وما بعدها.

(97) انظر: الفيزياء والفلسفة، فيرنز هايزنبرغ، (ص135، 148، 174).

(98) انظر: السابق، (ص162).

(99) الطاوية والفيزياء الحديثة، فريتجوف كابرا، ترجمة: حنا عبود، (ص277).

الصوفي الآسيوي، عبارة عن شبكة من العلاقات متوحدة، ولا وجود لأجزاء. وفي مراقبة ما دون الذرة لا يرى جوهراً أو بنية بل نماذج ديناميكية تتغير من الواحد للآخر باستمرار، وبالتالي وصفه بأنه رقص مستمر للطاقة، وفي هذا الرقص الكوني تخلق كل الأشكال وتنحل[100].

وهي دعوة لقراءة الأفكار التي تقدمها فيزياء الكون النظرية وفق توائم مفتعل مع الطاو، من ذلك «الأحداث الطبيعية الفيزيائية كتصادم الذرات أو انفجار الكون يعتقد أنها عرضية، إلا إذا تدخلت نوايا بشرية، إننا نحب أن نرى معناً للشؤون الدنيوية»[101]، و«للمفهوم العلمي للطاقة اليوم مظهر خشن من القوى الباردة ورياضيات جامدة، لكنها من قبل أكثر ليناً وجاذبية»[102]، يقول مترجم الطاو «نجد في تلك القوانين التي يرى هوبرت ريفز أنها سابقة على ظهور الكون وفاعلة فيه منذ الانفجار الكبير مفهوماً يقربنا كثيراً من مفهوم التاو»[103].

(100) الطاوية والفيزياء الحديثة، فريتجوف كابرا، ترجمة: حنا عبود، (ص295-298).

(101) طاقة الحياة، غاي بروان، ترجمة: أحمد العمري، (ص38).

(102) السابق، (ص99).

(103) مقدمة مترجم كتاب التاو، فراس سواح، (ص23)، وراجع: كتاب الكون البحث عن لحظة الميلاد، هوبرت ريفز، ترجمة: درويش الحلوجي، (ص31) وما بعدها.

عملية التقريب بين الطاوية الصينية والفيزياء النظرية الغربية في هذا الوقت وفق المتغير الأخلاقي تقف عنده عدد من المسائل:

أولاً: الامتداد الحقيقي لفيزياء الكم يظهر في الفلسفة الطبيعية اليونانية لا الطاوية الآسيوية.

مثلت الفلسفة المادية في العناصر الأربعة الماء - النار - الهواء - التراب - كأصل للوجود، وأن التغير وعدم الثبات أصل سائد كما عند هيرقليطس (Heraclitus)، وفلسفة الجزء الذي لا يتجزأ عند ديموقريطس (Democritus)[104] هي متسقة مع معنى الجسيم الفيزيائي، بل إن هايزنبيرغ نفسه يقول: «استخدم الفيزيائيون عند حديثهم عن الوقائع الذرية لغة توحي بمعنى الوجود بالقوة - في نظرية أرسطو - وبالتالي لم يعتبروا المدارات الالكترونية حقيقة واقعية إنما وجود بالقوة»[105].

لا يوجد مبرر أخلاقي لانصراف الغرب عن هذا الأصل الفلسفي الطبيعي الحقيقي له، والامتداد الفعلي لفكره وإن كان وثنياً، وتحوله إلى وثنية غريبة وأجنبية عنه وقبول فكرة الطاو المادية المتمثلة عند أتباعها بأنها

(104) انظر: الفيزياء السماع الطبيعي، أرسطو، ترجمة: عبد القادر قنيني، (ص13-16)، وانظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، (ص12-22).

(105) الفيزياء والفلسفة، هايزنبيرغ، (ص176).

«الخميرة الفاعلة في الكون من داخله، والنظام الضمني الذي يدفع صيرورة عمليات الطبيعة»[106]، فإذا كانت الدعوة إلى مادية الوجود ونفي أي وجود خارجه، فهل الطاوية ستحل ما عجز عنه الفلاسفة الطبيعيين في الفلسفة اليونانية، وإذا كانت الدعوة للوعي بواحدية الكون بالاعتماد على تجلياته الكثيرة ودوائر التغير والتحول فيه، والذي يسمى الوعي الروحي المستوعب مفهوم الروح الإنسانية[107] لا تُقبل إلا من دعوة الطاوية التصوفية التأملية، فما المبرر من تجاوز المدرسة الرواقية اليونانية والتي جمعت بين الزهد والتأمل الصوفي، والأخلاق والفلسفة والمنطق الطبيعي، ودعت للقانون والحق الطبيعيين[108].

ثانياً: مشكلة اللغة وأثرها في العلم الطبيعي.

وصف هايزنبيرغ استخدام اللغة في فيزياء الكم بالصعوبة والخطورة «في نظرية الكم لم يكن لدينا في البداية أي دليل بسيط على هذه العلاقة بين الرموز الرياضية ومفاهيم اللغة الدارجة»، «مشكلة اللغة هنا خطيرة حقا...لا يمكننا الحديث عن الذرات باللغة الدارجة»[109].

فإذا كانت لغة المجتمع الأصلية تواجه هذه الصعوبة، فكيف بلغة أجنبية عن لغة العالِم، وصوفية لا محدودة، تصف الوجود كليا لا جزء فيه، ففي كتاب الطاو «شيء بلا شكل، موجود قبل السماء والأرض، صامت فارغ، قائم بنفسه، شأنه الدوران بلا كلل، لا أعرف أسمه فأدعوه التاو»[110]، بل السؤال عن الطاو عجز «أسئلتك لا تنفع في اكتناه جوهر التاو، عليك ألا تسأل عن أشياء محددة يوجد فيها؛ لأنه لا وجود لأي شيء بدون التاو»[111].

في الوقت الحالي تجاوزت الدراسات العلمية الفيزيائية هذه الطروحات، إلا إن دعوات بعض الفيزيائيين الغربيين للاستدلال على الطاوية بالفيزياء النظرية ما يزال موجوداً، مع أن الأمر في مرحلته لا يتجاوز الأحلام فيقول أحد الفيزيائيين النظريين من دعاة الطاوية «أنا أعرف بمطلق التأكيد أن التماثلات بين الفيزياء الحديثة والصوفية سوف تغدو في يوم ما معرفة عامة»[112]، وبث الفكرة في وسط مشحون بالعاطفة في مقابلة بين أسلوب الطاوية الغامض والسديمي، وبين الفيزياء النظرية العلمية البحتة، بالحملات الدعائية من

(106) مقدمة مترجم التاو، فراس سواح، (ص25).

(107) الطاوية والفيزياء الحديثة، (ص293).

(108) رسالة في النظام الفلسفي للرواقيين، ف. أجرو، ترجمة: د. يوسف هواويني، (ص59-213).

(109) الفيزياء والفلسفة، (ص173-174).

(110) كتاب التاو تي تشينغ، الفصل (25).

(111) الترجمة الكاملة لكتاب ليتزو فيلسوف الطاوية، ترجمة: محسن فرجاني، (ص62).

(112) الطاوية والفيزياء الحديثة، (ص291).

خلال موضوعات عالمية تهم عموم الناس كحماية البشرية من حرب نووية، والمحافظة على البيئة، ومناصرة حقوق المرأة[113]، هذه الموضوعات لا ترتبط بفلسفة أو مذهب صوفي بعينه، كما أن هذه المذاهب ليست طوق النجاة الذي سيحقق الحفظ والأمان للبشرية، مما يبرر أهدافاً لا أخلاقية وميولاً شخصية خاصة، تلك التطلعات تذكرنا بفتنة الألماني الشاعر والفيلسوف بما هو شرقي ومختلف، وبما هو فضفاض وواسع يتضمن كل مختلف وغريب يقول غوته «الشيء الرائع لا تسبر أغواره، فليفهمه كل منا كيف يشاء»[114].

المطلب الثالث: الطب البديل وعلاقته بالطاوية وممارسات الطاقة في العالم الغربي.

مشكلات الحياة بدت معقدة وعسيرة الحل مما اشغل التفكير الغربي، وحمله ليطور التطلعات في شتى جوانب الحياة، وخاصة العلاجي لمواجهة الأمراض النفسية والعضوية، فوجدت عيادات خاصة تنتهج العلاج بالطاوية وما تفرع عنها من ممارسات.

الطاوية فلسفة صوفية طبيعية (Nature Mysticism) فهي لا تتوائم مع الحياة الصاخبة والمدنية الفاعلة، إذ الطاوية تنشد أن تكون جزء من الطبيعة، كالعيش في الغابات، وأن يترك المرء كيانه يتبع الطاو وقانون الطبيعة[115] في وحدة حيوية أو عضوية، وتأمل للقانون السائد في العالم، وفق النشاط التلقائي من جريان الحوادث العادية كالفصول الأربعة وحركة النجوم ومن الاندماج فيه، والمصير واحد للعادل والظالم، المحسن والمسيء، هو الموت ولا شيء بعده، فالحقيقة الظاهرة للموت هي ما جعل الطاوي لا يفكر بما بعده، إذ لا شيء يخبرهم سوى العفن والعظام النخرة، فاعتنوا بإطالة العمر وإدامة الشباب والبحث عن مصادر الخلود[116]، مارسوا الطب على كتابهم القديم التغيرات (I ching)، إذ يرى المجتمع الصيني في هذا الكتاب الرمزي مصدراً لكل شيء ومن ذلك الطب، فهم يرونه أول دراسة شاملة للتفاعلات الكونية وفقا لمبدأ (الين واليانغ)[117] وهو مرجع الطب الصيني التقليدي، إذ عدد من الحكماء

---

(113) راجع: الطاوية والفيزياء الحديثة، (ص300) وما بعدها.

(114) النور والفراشة مع النص الكامل للديوان الشرقي، يوهان غوته، ترجمة وشرح: د. عبد الغفار مكاوي، (ص39).

(115) قصة الحضارة (4/ 89).

(116) مع وجود اتجاهات تنظيمية مختلفة من الطاوية ممن دعت إلى وجوب الموت لأنه الخلاص من الأنا، انظر: الديانات الوضعية، د. محمد العربي، (ص249، 252، 253)، وانظر: حكمة الصين، (ص82).

(117) تي: هو التجلي المرئي للتاو، وهو يطابق الواحد الذي يخلق القطبية التي عن طريق الإنجاب تولد أشكال الحياة، يتم الفيض بالكلمة الأصلية (شانغ طاو) والخلق بفصل الأضداد السماء والأرض(ين-يانغ)، فينقسم الوجود إلى عنصرين ذكوري وأنثوي وفي كل عنصر جزء من الآخر. انظر: حكمة الصين-هـ. فان. براج، (ص60، 61).

في الـتراث الطـاوي كـانوا معلمـي طاقـة الحيـاة (تـشي كونـغ)[118]، وأطبـاء وخـبراء فـن تنـاغم مـع مـا يحـيط بالإنسان في البيئة[119]، وتدفقات الطاقة (فينغ شوي)[120]، وهو ينبـذ العلـم لأنـه طـارئ وبـاب جـدل، كـما يـذم الفلاسفة والمفكرين وأصحاب النظريات، فتترك العلوم والأعمال، ويُهمّل الناس يـصلحون أنفـسهم بأنفـسهم، ويترك الاتصال بالقرى القريبـة ليتحقـق الـسلام وينبـذ الحرب[121].

هذه الموضوعات لا تتفق أبداً مع عقلية وسـلوك الإنسان الغربي، لكن انزعاجه من قطبية الحياة والمـوت، والأحـداث المتـسارعة، ومـع عجـز الطـب عـن حـل مشكلات صحية ونفسية، مكنت للطاوية مـن نفـوذ في المجتمعات الغربية كملاذ فيما لا يـزال العلـم التجريبـي والاجتماعي والنفسي يتوقف فيها.

كان النفوذ وفق مـصطلحات كالعنايـة بالـصحة والتكيف مـع البيئـة، فظهـرت مـن الدراسـات الطبيـة المشتركة بين أطبـاء مـن الطـرفين الغـربيين والـصينيين، دعت المؤلفات الـصينية بمقاربـة بـين الجـسم البـشري والكون الأزلي، وهو ما لفت انتبـاه العقـل الغـربي نحـو الممارسات الوثنيـة الطاويـة منهـا (فينـغ شـوي) الوجـه الأكثر حضوراً في الغـرب بدايـة[122]، ثـم في العـلاج بـما يسمى (ري كـي) الممارسـة الروحيـة بالـشفاء بـالكف، حيث يقوم الممارس بنقل طاقة الشفاء أو طاقة كـي عـن طريق الراحتين[123].

وإدارة صحة الجسم والاصـغاء لـه، والانطـلاق منه للعناية بالروح وبالتالي العناية بالعالم المحيط، مع بث

(118) **تشي كونـغ** أو تـشي غونـغ: ثقافـة طاقـة الحيـاة، كلمتـان لهـما دلالات، تشي: تعنى الطاقة الداخلية الكامنـة، كونـغ: رياضـة تقوم على نظام شامل لتنسيق الجسم بالحركة والتنفس والتأمـل كوسيلة فعالـة للحفـاظ عـلى الـصحة أو التـدريب الروحـاني التأملي، أو التدرب على فنون القتـال، وهـي رياضـة أصـيلة في الطب، والفلسفة، وفنون الدفاع عن النفس، عند الصينين، لذا تعتبر تشي كونغ ممارسة تقليديـة تـسمح بـالنمو والتـوازن مـع الحياة. انظر:
The Way of Qigoung, Kenneth S. Cohen,p16

(119) انظر: حكمة التاو، اصغ لجسدك، بي سونغ غـاو، أنـدرو بـل، (ص10-11).

(120) **فينغ شوي** تعني الرياح والماء، وعادة ما تفـسر بالـضرب عـلى الرمل بغية كشف الغيب، وهي ممارسة صينية لتحديد الأماكن الآمنـة للمبـاني والمقـابر وفقـا لقـوى الطبيعـة، انظـر: معجـم الأديان، مراجعة: جون هيلنس، (ص241).

(121) انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت (4/ 33).

(122) انظر: حكمة التاو، بي سونغ غاو، أندرو بويل، (ص11).

(123) طورها الياباني البوذي (Mikao Usui) في 1922م، ثم استمر بها معلمون آخرون بتعليمها وتكييفها. لها فروع في اليابـان وفي أوروبا وأمريكا، كما لها تنظيم مهاري يتدرج الممارس فيها إلى أن يصبح (ماستر/ معلم) والتدرج في قوة الشفاء منطلقا من نفسه والآخرين، ثم الآخرين عـن بعـد، والمرحلـة الأخـيرة يكـون الممارس معلما يعلم الآخرين. انظر:
The Reiki Handbook of Dr. Mikao Usui, translated by Christine M. Grimen, LOTUS Press, second English Edition 2000.

فكـرة غـزو الجـراثيم للجسـد البـشري القـديم وأنهـا المسؤولة عن أمراض الشيخوخة والموت، وربـط الخليـة الحيوية بالطاقة، وأن مصادرها داخلية تنضب مع مـرور الوقت، لذا لابد من مـصادر خارجيـة وسـيلة وصـولها للجسد التنفس، ثم حشد النصوص الوثنية من الثقافات والملـل الوثنيـة والطقـوس وعـسف معانيهـا لتـوائم الفكرة[124].

مـن الجانـب الطبـي، وفي(فينـغ شـوي) عمـد الباحثون الغربيون إلى إعادة بناء عقيدة طاقة المكان وفق إعادة إنتاجه وصـياغته في الثقافـة الغربيـة والأمريكيـة، بمصطلحات ورسائل مثل؛ الطاقة قوة حيويـة تـدور في أماكن السكن... ابعـدوا كـل مـا يعيـق حركـة تـسي في منازلكم، أو الظـروف الجيـدة في المـسكن تـساعد عـلى إحـراز النجـاح في الحيـاة، وتحـريض الـشعور الغـربي والأمريكي لفاعلية الألوان والتصميم، وتفاعل الـنفس معها وفق افتراضـات وجـود سـهام خفيـة تنبعـث مـن الأشكال المعمارية والأثاث تثير الإنسان وتتسبب في تغير مزاجيته مما يؤدي لأثار ضارة عليه[125].

هذا الاندفاع لم تمنعه الدراسات التجريبية العلمية التي أجرت تجارب سريرية منهجية على عينات عشوائية منها التجربة سنة 2008 والتي خلصت إلى «الأدلة التي أشارت إلى أن الري كي هو العلاج الفعال لأي حالة هي أدلـة غـير كافيـة، لـذا فأهميـة الـري كـي لا تـزال غـير مؤكدة»[126].

الطاوية وما يتبعها مـن ممارسـات للطاقـة، هـي محاولات فكرية وفلسفية وسـلوكية لتجـاوز الـسقطات الفكرية العلمية، والاسقاطات الدينية المحرفة على الفكر الغربي مما يحمله على البحث عن تجارب بشرية ربما تغـير أو تحل شيئا من مشكلاته، والطاويـة واحـدة مـن تلـك التجارب المتعددة، الساعية لاسـتجداء الراحـة وطلـب السلامة وإزاحة الشك، تضاد فلسفي وديني، كمحاولة غوته في التصوف الفارسي واستجداء هيـدغر للطاويـة، وتعلق بعض الفيزيائيين بتأملات رهبـان الـصين، ومـع ذلك واجهتها مصدات قوية في الفكر الـديني النـصراني فظهرت دراسـات تعتمـد النقـد الـديني المعـاصر لحـل مشكلة الإيمان والأزمة الدينية واللاهوتية، وذلك بإعادة قـراءة اللاهـوت النـصراني وتوظيفـه لحـل مـشكلات الوجود الإنساني وما يرتبط به من خـوف وقلـق ويـأس من جانب، ومـن جانـب أخـر الموائمـة بـين اللاهـوت

(124) انظر: طاقة الحياة، غاي بروان، ترجمة: أحمد العمري، (ص23، 38، 51، 58، 99، 103، 107، 134).

(125) انظر: الفنيغ شوي، طاقـة المكـان، نانسيلي وايـدرا، (ص25، 32)وغيرها.

(126) Effects of reiki in clinical practice: a systematic review of randomised clinical trials, M. S. Lee -M. H. Pittler -Ernst, The international journal of clinical practice, Volume62, Issue 6 June 2008 Pages 947-954.

والوجود الإنساني[127].

* * *

المبحث الثاني

المتغير الأخلاقي لظهور الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي

توطئة: واقع العالم العربي.

واجه العالم العربي قديما أنماطاً من التحديات، اتسمت بممارسات عنيفة منها سياسات احتلالية، أو مناهج تغريب، وأدلجة فكرية تعمل وفق خطط منتظمة لتحقق أهداف المحتل.

وفي الفترة التي سبقت انتشار الطاوية وممارسات الطاقة، ذاعت التيارات الفلسفية المستوردة من الغرب، وخاصة الفلسفة الوجودية، بكل اضطراباتها وصور معاناتها وفشلها في تحقيق الأمن والسلام للإنسان.

نشطت حلقات التواصل بالفكر الغربي عامة والوجودية الألمانية خاصة، منطلقة بداية من الاتصالات المباشرة من دعاة النهضة والتقدم، إلى فضاء الترجمة والقراءات، بالانتقاء والحذف والإضافة، ساعية ليس لنقل الفكر من خلال النص الأصلي، بل حملتها دواعي ثورية وعطش لتحرر من عبودية مفتعلة، وفق موضوعات وجودية بلباس عربي في عبارات مثل سحق المسكنة والذل ومشاعر العدم في الحياة العربية[128]، كونها منهجية استبدالية تغير المادة من قالب غربي لقالب عربي كما فعل فلاسفة العرب والمتكلمون في المنقول الفلسفي اليوناني.

يتصل هذا الطرف الفلسفي بجانب عقدي وسلوكي هو التصوف، في أفق محموم متزامن مع الحركات الفلسفية المعاصرة، يقول عبد الرحمن بدوي مقدم نيتشه ورائد الفلسفة الوجودية في العالم العربي «النزعة الإنسانية التي تواكبها نظرة صوفية تنبع من أعماق الوجود الأصيل للروح الحضارية»[129]، وهي مؤلفات تنقل الفلسفة الغربية من عمقها الإيديولوجي، وامتدادها الجغرافي، إلى عمق مختلف وواقع مغاير، وهي تفعل ذلك مع تعميق الانفصال عن الواقع العربي بسبب فشل مقاومة تداعياته في وسط مشحون قديما وحديثا بالفكر الصوفي «من المحتمل أن يجد الحكيم في العزلة ما أفتقده في وطنه من عمق إنساني ومحبة صوفية تفيض

(127) انظر: الفلسفة الدينية عند باول تيليش، اللاهوت كأفق لفهم مشكلات الوجود الإنساني، محمد بن سباع، ضمن فلسفة الدين المفاهيم والإشكالات والاتجاهات، إشراف: عبد الرزاق بلعقروز، (ص197-210)، وانظر: روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، إيتن جلسون، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، (ص154) وما بعدها.

(128) انظر: وبتصرف المعرفة والارتياب، عبد الرزاق بلعقروز، (ص316).

(129) الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، عبد الرحمن بدوي، (ص7).

بالشوق كما يفيض العقل الفعال على الموجودات»[130] وهو فشل يدعو للسفر نحو المجهول، ونحو مملكة العدم، في قوالب شعرية أخاذة، تنقل ومن خلال اللغة تمثل الإنسان بحضور الإله والإشارة إلى جوهر الأشياء[131].

التصوف المعاصر في العالم العربي، هو الوسط الحاضن لفكرة الطاوية المهجنة بالفلسفة الوجودية الغربية، وهو الأفق الذي تتمدد فيه الطاوية وممارساتها، لقد كان المنهج الذي سار عليه (لاو تسو) هو تأمل النظام والعمل على الاندماج فيه ونبذ النظر إلى الجزئيات ليتحقق الإلمام بالوحدة وهو يقصد الوحدة الحيوية أو العضوية، أحد أنماط (Mysticism)[132]، وهو قريب جدا من موضوعات الوحدة الصوفية كوحدة الوجود.

ولعل التقارب بين وحدة الوجود الصوفية والوحدة العضوية الطاوية في كون الوجود واحد، فهو يظهر أيضا ما بينهما من اختلاف، إذ الطاوية مادية بحته في وجود الموجودات، حيث تتشكل الموجودات من مادة أو خميرة فاعلة في الكون من داخله، أشبه بالجسد الحي الذي تعتمد وظائفه على بعضها وفي تلقائية طبيعية، ولا تؤمن بالمغايرة والاختلاف، ولا تمتلك أي جانب غيبي ولا تتطابق مع أي مفهوم عن الألوهية المفارقة[133] بخلاف وحدة الوجود الصوفية والتي ترى في العالم ذلك التجلي الإلهي الدائم الذي لم يزل ولا يزال، وظهور الحق في كل آن فيما لا يحصى عدده من الصور، ففيها تفريق بين وجود وتجلي صفات، يقول داعية وحدة الوجود ابن عربي «لما شاء الحق سبحانه من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإن شئت قلت أن يرى عينه، في كون جامع يحصر الأمر كله لكونه متصفاً بالوجود، ويظهر به سره إليه»[134].

المطلب الأول: المتغير الأخلاقي لقبول الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي.

تمثل التبعية المطلقة للغرب عند بعض العرب والمسلمين؛ أهم عوامل الضعف والخذلان في العالم العربي، تبعية تنحرف عن الدين بما يناقض التوحيد

(130) الفلسفة النقدية ومرح الحقيقة، د. عزيز الحدادي، (ص113).

(131) السابق، (ص151).

(132) يقابله في العربية لفظ التصوف، يعرف في الديانات الموحدة بأنه تجربة موحدة أصولية من الحب والمشاركة مع الرب، وفي طقوس غير الموحدين تكون كطريقة تأملية تقوم على الحدس بالحقيقة المطلقة، وفي كلا الحالتين يفهم (Mysticism) كتجربة فوق الخبرة والعقل البشري غير مضادة لهما، انظر: معجم الأديان، (ص476).

(133) انظر: كتاب التاو تي شينغ، مقدمة الترجمة، (ص29).

(134) انظر: فصوص الحكم، ابن عربي، المقدمة (1/ 48). وانظر: على سبيل التفصيل في موضوع الكثرة وتبرير الوحدة الفتوحات المكية (2/ 505) وانظر: فصوص الحكم (1/ 79، 81).

ويخالف التشريع، وربما تموه الظهور به، وهي في جانب أخر تعمل على جلد الذات وتهميش الحضور والدور الفاعل للعرب، وهو سلوك يرتبط بالهزيمة النفسية تجاه المنتصر، يقول ابن خلدون (808هـ) «النفس تعتقد الكمال فيمن غلبها...لذلك ترى المغلوب يتشبه أبدا بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وأشكالها بل وفي سائر أحواله»[135].

وإذا كان فئام من الباحثين العرب لهم باع طويل في استجلاب الفكر الوافد دون موازنة أو مراعاة الابتسار لكل ما يتردد صداه عند الآخر أيّن كان، فقام باستجلاب العلمانية، والشيوعية، والحداثة، والوجودية، وغيرها من الفرضيات الفلسفية، والتنادي لموجة التغريب والانسلاخ من الحضارة والهوية وكل ذلك بدعوى التحضر والمدنية ومواكبة الغرب في تقدمهم الصناعي والاقتصادي والعلمي وغيره، فما المبرر الأخلاقي للتنازل عن مبادئ إسلامية ثابتة ومتينة في مقابل التخلف والبدائية، والمبادرة باستجلاب طقوس وثنية قديمة، ليس من أمر إلا أنها قادمة من الغرب.

يلحظ الباحث أن الطاوية وممارسات الطاقة وصلت للعالم العربي من خلال قنوات فلسفية وعلمية وثقافية غربية، بحيث يمكن أن يوصف ما يوجد في العالم العربي بمحاكاة وتقليد، يمثل رجع صدى لما يتردد في العالم الغربي، ومع وجود معرفة سابقة بالديانات الصينية طاوية كانت أم بوذية من خلال المؤلفات القديمة، على أنها وثنية بدائية تعتمد على الخرافة والطلاسم والسحر، لذا عند معالجة هذا الحضور للطاوية وممارسات الطاقة في عالمنا العربي لابد من تصدر الفكرة من مصدرها الوسيط أنها هجين فلسفي ثقافي شرقي وغربي، استطاع الغرب تقديم نسخة مطورة عنها.

من أبرز الأدلة على ذلك أن الدعاة للطاوية في العالم العربي سواء كانوا مؤلفين أو ممارسين أو دعاة تطبيقيين، جميعهم متأثرين بالغرب لا الصين، بل تعلموا وتدربوا عليها في أوروبا وأمريكا[136].

(135) مقدمة ابن خلدون، (ص151).

(136) انظر: الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي، د. حسام كمال استشاري العلاج الطبيعي كلية شيكاغو الطبية، عضو الجمعية الأمريكية للعلاج الطبيعي، وانظر: التنويم المغناطيسي وتطوير الطاقة البشرية، شريف هزاع شريف، خبير في علوم الطاقة البشرية من الإتحاد العالمي الفرانكفوني لعلوم الطاقة وعضو في المؤسسة العالمية للري كي IARP وعضو في الهيئة البريطانية للمدربين المعتمدين، ماستر في تقنيات الري كي الياباني، مدرب متمرس في علوم الطاقة الكونية وعلاجات الطب التكميلي، وخبير في علوم الطاقة الحيوية والطب البديل عضو المؤسسة الأمريكية لمحترفي الري كي وعضو في الهيئة العليا للمدربين البريطاني. وانظر: الدورات التي يعقدها الدكتور يوسف البدر (تعلمي كيف تعززي سريان الطاقة الإيجابية في منزلك)، و(تعلمي=

كما استخدم دعاة الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي نفس النسخة الغربية المطورة للطاوية، ونفس المصطلحات مثل التنويم المغنطيسي، الطاقة الحياتية، الشفاء الذاتي، التصميم الداخلي للبيوت، تطوير الذات، وغيرها، كما استخدمت نفس الأهداف الغربية مثل إطالة العمر ومقاومة الشيخوخة، وتيسير الحياة، وتحقيق الراحة، والنجاح، والتمكن من التواصل الغيبي، وكسب المال[137].

يقول د. يوسف البدر في أحد محاضراته «نظام فينغ شوي علم ينبض بالحيوي وهو مليء بالأفكار البسيطة التي تجعل حياة الإنسان أسهل»[138]، ويقول الدكتور حسام الدين كمال «هدفي إقناع الناس بالاعتماد على طاقتهم الحيوية الطبيعية...لفهم عمل نظام الشفاء الذاتي»[139]، ويقول شريف هزاع شريف «للعقل الإنساني حالات منها الاسترخاء والتأمل تشمل الأمن والراحة...بالنقر على مسارات الطاقة في الجسم مع ترديد كلمات تحفيزية وتكرار النقرات»[140]، وتقول د. رفاه «قسم البيت إلى المربع العجيب عن طريق فينغ شوي واختر المربع [6] للاتصال بالعالم العلوي وتلقي المساعدة من الآخرين»[141]، ويقول طارق ربيع «كي

=كيف تشعرين بالراحة والسعادة بديكور وأثاث فنغ شوي) مدرب معتمد في طب الطبيعة Naturopathy كلية العلاجات البديلة، مونتريال، كندا، شهادة الاعتماد من البورد الأمريكي للطب البديل ANCB، معالج مرخص في طب الطبيعة، دكتوراه في الكهربية الفيزيولوجية لجسم الإنسان، جامعة ستراثكلايد، اسكتلندا. وانظر: صالح الحوراني ماستر ومعلم ري كي الألماني، عاش في ألمانيا لسنوات طويلة امتدت بين عامي 1960م، ومنتصف عام 2005م، تقلد خلالها منصب رئاسة رابطة الصداقة العربية الألمانية في مدينة بفورتسهايم لمدة تسعة أعوام، درس الماستر صالح الحوراني علم الطاقة «ريكي» في المعاهد الألمانية وحصل على شهادة في هذا العلم ليصبح معالج ومعلم للطاقة، اعتبره مدرسوه سفيراً أميناً لنقل الريكي لوطنه ومنطقته وعلى هذا الأساس عُومل معاملة خاصة للقيام بهذه المهمة.انظر: طاقة الريكي أسرار ومعرفة، انظر موقعه:

http: //www.reiki-hurani.com/cms/reiki-book

(137) بمراجعة قوائم مراجع المؤلفات التالية يظهر أنها تنقل كل ما يدور في الغرب دون الوقوف على الطاوية وتطبيقات الطاقة=

=من أصولها الصينية. انظر على سبيل المثال: أسرار الطاقة في العلاج والتطوير الذاتي، د. عبد اللطيف العزعزي، مركز التميز للاستشارات الإدارية والتطوير، ط1، 2003م، أبو ظبي، وانظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان، أحمد حجازي، دار عالم الثقافة، ط1، 2011م، عمان، وانظر: حياتنا وطاقة المكان، د. مها العطار، هلا للنشر والتوزيع، ط1، 2016م، وانظر: الاستشفاء بالطاقة الكونية، الريكي والفونغ شوي، رفاه السيد، جمان السيد، دار الحرف العربي، ط1، 2004م.

(138) انظر: علم فينغ شوي، يكشف اسرار سريان الطاقة ويطوعها لخدمة الإنسان، كبيرة التنوسي، 2011م.

(139) الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي، (ص31).

(140) التنويم المغناطيسي وتطوير الطاقة البشرية، (ص90).

(141) الوجوه الأربعة للطاقة، (ص22).

كوانغ علاج الامراض العضوية والفسيولوجية»[142].

ومما زاد القبح قبحاً وبشاعة؛ أنها وثنية من الصين ومستجلبة من الغرب، منافية لجناب التوحيد، ومخالفة للقيم العربية، ومفاهيم العرف المجتمعي العربي، ومهما قدم لها دعاتها في ظنونهم أنها تبريرات ومسوغات إيجابية، فهي لا تنفك عن مضمونها الوثني.

المطلب الثاني: المتغير الأخلاقي وتجارة الوهم.

تعرضت الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي لمواجهة شديدة من قبل بعض الحكومات[143]، وعدد من الباحثين، بما تضمنه من إلحاد وشركيات، وأكلٍ لأموال الناس بالباطل، فما كان من دعاتها إلا التبرير بأن رفضها قصور وانغلاق، ما أوجب الوقوف عليها وفق المتغير الأخلاقي بطرح واقعية المردود الذي حققته الطاوية وممارسات الطاقة للناس في العالم العربي.

ينطلق دعاة الطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي من منطلقات تجارية ربحية بحته، تسعى للتكسب ببيع الأوهام، فالطاوية في مبادئها تقوم على الانعزال والانكفاء على النفس، ومن ثم إلى نبذ العمل والنجاح والتطور «جموع الناس يسعى كل إلى غاية، مثل ريح لا يهدأ لها هبوب، وأنا وحدي مختلف عن الآخرين، أعتمد على الأم مرضعتي»[144]، وهي من ناحية لا تفرق بين الحسن والقبيح «وحدة عالمية تتلاشى فيها كل المتناقضات وتزول كل الفروق وتتلاقى كل الأشياء المتعارضة ليس في نظرته إلى الأشياء طيب ولا خبيث، ولا أبيض أو أسود، ولا جميل أو قبيح»[145] فكيف تسوق الطاوية بهذا الفكر الانعزالي والكسول ونبذ الكسب والربح، في المجتمعات الفاعلة والمتفاعلة، وتقدم دورات وتنشئ عيادات لتحقق للناس النجاح والثراء والتمكين، ومقاومة ما لا يمكن مقاومته كقصر الحياة وسرعة الزمن، وإرهاق الجسم والعقل، مع ما في الطاوية المهجنة من منزلقات للوقوع في الوثنيات، والإلحاد فدعاة الطاوية الملاحدة من الغربيين يرون» أن الجسم مكون من كمية وتشكيلة واسعة من الآلات الجزئية ينظمها ويصممها التطور، وربما من أجل ضمان بقاء الموروثات»[146]، وهي أقوال يتردد صداها عند دعاتها من العرب» نصل لحالة الأمان بالرياضات والتمارين العقلية

(142) (Qigong) تمرينات الطاقة الحيوية والعلاج الذاتي، (ص9-16).

(143) صدور أمر ملكي: منع ممارسة نشاط العلاج بالطاقة (الريكي) أو التدريب عليه في المملكة العربية السعودية، وذلك بعد دراسة وضع ممارسيه والوقوف على حقيقته من هيئة الخبراء بمجلس الوزراء 21/ 3/ 1438هـ.

(144) كتاب التاو تي تشينغ، لاو تسي، صياغة عربية وتقديم فراس سواح، (ص55)، وانظر: الديانات الوضعية الحية، د. محمد العريبي، (ص257).

(145) قصة الحضارة، ول ديورانت (4/ 91).

(146) طاقة الحياة، غاي بروان، (ص134).

والنفسية الروحية»[147]، وأيضاً «تجميع الطاقة بحمل دفتر الريكي ومسكه بعد كتابة الرموز... علبة الريكي ووضع صور للأشخاص ممن يراد إرسال إليهم الريكي»[148].

الأخلاق تقوم على القيمة الخلقية التي تحددها المعايير، والأخلاق المعيارية تعنى بمدى صحة الأفعال وخطئها، وهي تفرض قوانين معينة بها يحكم على السلوك الإنساني، وبالتالي فهي تقيد الفرد وتضبطه، الدعوة للطاوية وممارسات الطاقة في العالم العربي سلوك يخضع لهذه الأخلاق المعيارية، وتترتب عليه مسؤوليات لا تنفك عن الأخلاق ذاتها، فما القيمة التي حققتها الطاوية وممارساتها للمواطن العربي، وما المكاسب التي سعى لتحقيقها من خلال قبول هذه الأنماط الوثنية سوى تشويش للمعتقد، ونشر للوثنية، وتعليق بأوهام، وإن اندرج في مسميات الطب البديل، وتطوير الذات، وتقريب الفكر الصوفي التأملي والذي بدأ يعود بين بعض المسلمين.

***

الخاتمة

النتائج:

– إن نشاط الطاوية وممارسات الطاقة في العالم له بواعث وغايات، وأن القبول والاستحسان المصاحب يدعو لتحليل مبتغاهم وتقييمه وفق المعيار الأخلاقي، فعدد منهم لا يؤمن بدين، ولا ينتمي لقيمة اجتماعية، مما يجعل الأخلاق هي المحك الذي يقف عنده الخصم.

– يزداد العالم الغربي غربة كلما أوغل في الانسلاخ من الدين والقيم الأخلاقية، وهو ما يجعل سبل النقد شديدة سواء من داخل المحيط أم من خارجه.

– الفلسفة الوجودية عاجزة في كل مراحلها وأنواعها عن حل مشكلات الإنسان بالرغم من الحضور الفلسفي والأدبي لها على مستوى العالم، وقد ازدادت اضطرابا وانغلاقا بنفوذ الطاوية فيها.

– العلوم التجريبية يسودها التطور والكشوف، والمجال رحب للنقاشات والتفسيرات، لكن تأويل العلوم الطبيعية التجريبية وإن كانت افتراضية أو حدسية وفق وثنية قديمة منغلقة ومعزولة يعد انتكاسة علمية.

التوصيات:

– واقع العالم العربي فيما يُجلب عليه من فلسفات إلحادية، وممارسات وثنية تتطلب تحرك دعوي ديني، وتثقيف اجتماعي، ونشاط سياسي، يحافظ على المجتمع، ويصون دينه وهويته، في وقت انفتاح عالمي.

– دراسة القوى الواقفة خلف ترويج الوثنية وطقوسها بين الشعوب المؤمنة.

– دراسة ارتباط الإلحاد والملاحدة بنشر الوثنية القديمة.

---

(147) التنويم المغناطيسي وتطوير الطاقة البشرية، شريف هزاع شريف، (ص20).

(148) الوجوه الأربعة للطاقة، رفاة السيد، جمان السيد، (ص48).

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

إحياء علوم الدين. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. ط1، بيروت: دار المعرفة، 1425هـ.

الأخلاق والسير. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. تحقيق: إيفار رياض. د.ط. بيروت: دار ابن حزم. د.ت.

الاستشفاء بالطاقة الكونية الريكي والفونغ شوي. السيد، رفاه، جمان. ط1، بيروت: دار الحرف العربي، 2004م.

أسرار الطاقة في العلاج والتطوير الذاتي. العزعزي، عبد اللطيف. ط1، أبو ظبي: مركز التميز للاستشارات الإدارية والتطوير، 2003م.

الإنسانية والوجودية في الفكر العربي. بدوي، عبد الرحمن. د.ط، بيروت: وكالة المطبوعات، 1982م.

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به. الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري. ط2، القاهرة: مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، 1963م.

بعد الفضيلة بحث في النظرية الأخلاقية. السدير، ماكنتاير. ترجمة: حيدر حاج إسماعيل. ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2013م.

البوذية الفلسفة الحية. إكيدا، دايساكو. ترجمة: محمود الهاشمي. ط1، د.م: مركز الانماء الحضاري، 2002م.

تاريخ الأدب الألماني. روتمان، كورت. ترجمة: سليمان عواد. ط1، بيروت: منشورات عويدات، 1989م.

تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين. غُنار، سيكيربك وأخرين. ترجمة: د. حيدر إسماعيل. ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2012م.

تاريخ الفلسفة الحديثة. رايت، وليم. ترجمة: محمود سيد أحمد. ط1، بيروت: التنوير للطباعة، 2010م.

تاريخ الفلسفة الغربية. رسل، برتراند. ترجمة: د. زكي نجيب محمود. د.ط، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م.

تاريخ الفلسفة اليونانية. كرم، يوسف. ط4، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1985م.

الترجمة الكاملة لكتاب ليتزو فيلسوف الطاوية. ترجمة: محسن فرجاني. ط4، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2011م.

تمرينات الطاقة الحيوية والعلاج الذاتي (Qigong). ربيع، طارق. ط4، الإسكندرية: دار الوفاء، 2012م.

التنسيب والولادات الصوفية. ايلياد، ميرسيا. ترجمة: حسيب كاسوحة. د.ط، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1999م.

التنويم المغناطيسي وتطوير الطاقة البشرية. شريف، شريف هزاع. ط.1، عمان: دار غيداء، 2013م.

الجانب الديني للفلسفة. جوزايا، روسي. ترجمة: أحمد الأنصاري، مراجعة: حسن حنفي. ط2، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2009م.

الحسنة السيئة. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: محمد عثمان الخشت. ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1985م.

حكمة التاو، اصبغ لجسدك. غاو، بي سونغ وآخرين. ترجمة وتحقيق: سلام خير بك. ط2، اللاذقية: دار الحوار للنشر، 2017م.

حكمة الصين. براج، هـ. فان. ترجمة: موفق المشنوق. ط1، دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، 1998م.

حياتنا وطاقة المكان. العطار، مها. ط1، عمان: هلا للنشر والتوزيع، 2016م.

خواطر، بسكال، بليز. ترجمة: إدوارد البستاني. د.ط، بيروت: اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، 1972م.

الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى. العريبي، محمد العريبي. ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1995م.

الرد على المنطقيين. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: محمد حسن إسماعيل. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

رسالة في النظام الفلسفي للرواقيين. أجرو، ف. ترجمة: د. يوسف هواويني. ط1، بيروت: الفرات للنشر، 2009م.

روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط. إيتن، جلسون. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام. ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011م.

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. البستي، أبو حاتم محمد بن حبان. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد وآخرين. د.ط، د.م: دار الكتب العربية، د.ت.

شرح الأصول الخمسة. الأسد آبادي، أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد. تحقيق: عبد الكريم عثمان. ط2، القاهرة: مكتبة وهبة، 2010م.

طاقة الحياة في جسم الإنسان. حجازي، أحمد. ط1، عمان: دار عالم الثقافة، 2011م.

طاقة الحياة. بروان، غاي. ترجمة: أحمد العمري. د.ط، الرياض: مكتبية العبيكان، 2003م.

الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي. كمال، حسام الدين. ط1، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2012م.

طاقة المكان (فينغ شوي) حقيقته وتطبيقاته دراسة عقدية. الدوسري، منى. رسالة الماجستير. الرياض: كلية التربية– جامعة الملك سعود، 1439هـ.

الطاوية والفيزياء الحديثة، استكشاف التماثلات بين الفيزياء الحديثة والصوفية الشرقية. كابرا، فريتجوف. ترجمة: حنا عبود. د.ط، دمشق: د.ن، 1999م.

العالم الشرقي، المجلد الثاني من محاضرات في فلسفة التاريخ. هيغل، فيلهلم. ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام. ط3، بيروت: دار التنوير، 2007م.

علم الأخلاق. اسبينوزا، باروخ. ترجمة: جلال الدين سعد. ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2009م.

على دروب زرادشت. ستيبان، أودويف. ترجمة: فؤاد أيوب، ط1، بيروت: دار مشق، 1983م.

فاوست. جيته، يوهان. ترجمة: عبد الرحمن بدوي. ط1، بيروت: دار المدى، 2014م.

الفتوحات المكية. ابن عربي، محمد بن علي. ط1، بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي. د.ت.

فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، والتعليقات عليه. عفيفي، أبو العلا. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، 1946م.

فلسفة الدين. إشراف بلعقروز، عبد الرزاق. ط1، بيروت: منتدى المعارف، 2018م.

فلسفة الكوانتم فهم العلم المعاصر وتأويله. رولان، أومنيس. ترجمة: أحمد فؤاد باشا وآخرين. د.ط، الكويت: عالم المعرفة، 2008م.

الفلسفة النقدية ومرح الحقيقة. الحدادي، عزيز. ط1، بيروت: منتدى المعارف، 2016م.

فلسفة هيوم الأخلاقية. الزين، محمد. د.ط، القاهرة: درا التنوير،

2009م.

في الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام. الجلينـد، محمـد. د.ط، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق. د.ت.

الفيزياء السماع الطبيعي. طـاليس، أرسطو. ترجمة: عبـد القـادر قنيني. د.ط، بيروت: أفريقيا الشرق، 1998م.

الفيزياء والفلسفة ثورة في العلم الحديث. هايزنبيرغ، فيرنر. ترجمة: خالـد قطـب. ط1، القـاهرة: المركـز القـومي للترجمـة، 2014م.

الفينغ شوي، طاقة المكان، نانسيلي، وايدرا. ترجمة: رفيقة العبـد الله وآخرين. ط1، بيروت: دار الطليعة، 2005م.

قصة الحضارة. ديورانت، ويليام جـيمس. ترجمـة: محمـد بـدران. د.ط، بيروت: دار الفكر. د.ت.

القضاء والقدر. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. ضـبط وتنسيق وشرح وتعليق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح والـدكتور الـسيد الجمـيلي. ط2، بـيروت: دار الكتـاب العربي، 1418هـ.

كانط وأنطولوجيا العصر. عطية، أحمد. ط1، بيروت: دار الفارابي، 2010م.

كتاب الأخلاق. أمين، أحمد. د.ط، القاهرة: الهيئة المـصرية العامـة للكتاب، 2010م.

كتاب التاو تي شينغ. ترجمة وتعليق: فـراس سـواح. ط1، دمـشق: دار علاء الدين للنشر، 1998م.

كتاب الكون البحث عـن لحظـة المـيلاد. ريفـز، هـوبرت. ترجمـة: درويش الحلوجي. د.ط، القاهرة: دار المستقبل، 2006م.

الكونفوشيوسـية ماضـيها وحاضرهـا وموقـف الإسـلام منهـا. الـشهراني، نـاصر. د.ط، الريـاض: مركـز الملـك فيـصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1432هـ.

الكينونـة والزمـان. هايـدغر، مـارتن. ترجمـة وتعليـق: فتحـي المـسكيني. ط1، بـيروت: دار الكتـاب الجديـد المتحـدة، 2012م.

لسان العرب. ابـن منظـور، أبـو الفـضل محمـد بـن مكـرم. ط3، بيروت: دار صادر، 1994م.

ما وراء الخير والشر. نيتشه، فريدريك. ترجمة: حسان بورقية. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2006م.

المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة. رسـل، برترانـد. ترجمـة: عبدالكريم أحمد. د.ط، القاهرة: مكتبة الانجلو المـصرية. د.ت.

مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية. خوري، أنطوان. ط1، بيروت: دار التنوير، 1984م.

مدخل إلى المذاهب الوجودية. مونييه، إيمانويل. ترجمة: هاني بيوس حنا. ط1، الجزائر: ابن النديم، 2017م.

المذاهب الوجودية من كيركيجارد إلى جان بول سارتر. جوليفيـه، ريجيس. ترجمة: فؤاد كامل. ط1، القـاهرة: آفـاق للنـشر، 2019م.

المرجع في مناهج البحوث التربوية والنفسية. شحاته، حسن. د.ط، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008م.

مجمـع اللغـة العربيـة، المعجـم الوسـيط. ط4، القـاهرة: مكتبـة الشروق، 1425هـ.

المعتقـدات الدينيـة لـدى الـشعوب. بارنـدار، جفـري. ترجمـة: عبدالفتاح إمام. د.ط، الكويت: عالم المعرفة، د.ت.

معجم الأديان الدليل الكامـل للأديـان العالميـة. هينلـيس، جـون. ترجمة: هاشم أحمد محمـد. ط1، القـاهرة: المركـز القـومي للترجمة، 2010م.

المعجم الفلسفي. صـليبا، جميـل. د.ط، بـيروت: الـشركة العالميـة

للكتاب، 1994م.

المعرفة والارتياب المساءلة الارتيابية لقيمة المعرفة عند نيتشه وامتدادها في الفكر الفلسفي المعاصر. بلعقروز، عبدالرزاق. ط1، بيروت: منتدى المعارف، 2013م.

مقالة عبادة الإنسان الحر. رسل، برتراند. ترجمة: محمد عمارة. ط1، الجبيل: صفحة سبعة للنشر، 2019م.

المقدمة. ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1994م.

منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية. بوحوش، عمار وآخرين. د.ط، برلين: المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2019م.

موت التراجيديا. شتاينر، جورج. ترجمة: محمد صبح. ط1، دمشق: دار كنعان للنشر، 2010م.

النزعة الفلسفية في الأدب الوجودي فرانز كافكا أنموذجا. اليوسفي، حسين. ط1، الجزائر: ابن النديم للنشر، 2016م.

نقد العقل الخالص. كانت، إيمانويل. ترجمة: غانم هنا. ط1، بيروت: المنظمة العالمية للترجمة، 2013م.

النور والفراشة مع النص الكامل للديوان الشرقي. غوته، يوهان. ترجمة: عبد الغفار مكاوي. ط1، بغداد: منشورات الجمل، 2006م.

هايدغر ضد هيغل. بنعبد العالي، عبد السلام. ط1، بيروت: دار التنوير للنشر، 2006م.

هكذا تكلم زرادشت. نيتشه، فريدريك. ترجمة: فيلكس فارس. د.ط، بيروت: دار القلم للنشر، 1999م.

الوجوه الأربعة للطاقة. السيد، رفاة وجمان. ط1، بيروت: شركة دار الخيال للطباعة، 2003م.

المقالات:

اخفاق النظام الأخلاقي للإلحاد العلموية لا تنتج المتسامي. دلفينو، روبرت. ترجمة: طارق عسيلي. مجلة الاستغراب. س3،ع7، بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2017م.

دراسة استطلاعية لبعض الفلسفات الدخيلة (الفونغ شوي). د. خصيفان، تبرا، ود. العواد، عبير. مجلة بحوث التربية النوعية. جامعة المنصورة. ابريل 2016م.

علم فينغ شوي، يكشف أسرار سريان الطاقة ويطوعها لخدمة الإنسان. التنوسي، كبيرة. أبوظبي: صحيفة الاتحاد، 23 ابريل، 2011م.

الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة. د. كردي، فوز. مجلة العلوم الشرعية، ع27، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1434هـ.

منهج البحث التجريبي في علم النفس. د. عجابي، أسماء. مجلة التمكين الاجتماعي-مج1-ع4، الجزائر، 2019م.

هايدغر والطاوية من العدم إلى البحث عن جلاء الفطرة. تشاي، ديفيد. ترجمة: سامي اليوسف. مجلة الاستغراب. بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، 2016م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

Effects of reiki in clinical practice: a systematic review of randomised clinical trials, M. S. Lee -M. H. Pittler -Ernst, The international journal of clinical practice, Volume62, Issue 6 June 2008 pp. 947-954

Facing Gaia Six lectures on the political theology of nature, being the Gifford lectures on Natural Religion، ednburgh.18th -28th of February 2013.

God Does not Play dice The Fulfilment of Einstein's Quest for law and order in Nature, David A. Shiang,

Pustak Mahal,2008,1st edition, Delhi.

Heidegger and the Jews: The Black Notebooks Donatella Di Cesare, English edition Polity prees,2018, Cambridge.

Heidegger on East-West Dialogue: Anticipating the Event- Me Lin- (New York: Routledge,2008)

Heidegger on the way from onto-historical Ethnocentrism to East-West Dialogue- Bret.W. Davis- Gathering; The Heidegger Circle Annual,6, (2016) pp. 130-156.

Heidegger, M, Haas, A. (2006). Europe and German philosophy. The New Yearbook for Phenomenology and Phenomenological Philosophy 6, pp. 331-340.

Heidegger's hidden sources, East Asian influences on his work, Graham Parkes, London and New York, 1996.pp83-125.

Oxford concise Dictionary of The Christian Church, E.A. Livingstone، second edition. Oxford university press. New York.

Ponderings II–VI. Black Notebooks 1931–1938, Martin Heidegger, Translated by Richard Rojcewicz, Indiana University Press,2016.

Rising sun over Black Forest Heidegger's Japanese connections- Reinhard May, Translated, with a complementary essay, by Graham Parkes, London and New York,1996.

The impact of moral intensity dimensions on ethical decision making: Assessing the relevance of orientation, Carlson, Kacmar, Wadsworth. Journal of Managerial Issues, 14(1), pp. 15-30.2002

The Reiki Handbook of Dr. Mikao Usui, translated by Christine M. Grimen, LOTUS Press, second English Edition 2000.

The Terror of the year tow thousand-by Etienne Gilson - university of St. Michael's College Toronto1984.

The Way of Qigoung, Kenneth S. Cohen, Ballantine Book Published by The Random House Publishing Group Copyright, 1997.

Waiting for Godot -Samuel Beckett, York press, Gemayel Production & printing, Birrut,2002.

المواقع الالكترونية:

موقع منظمة جيفورد

https://www.giffordlectures.org/lord-gifford

موقع حوراني للريكي

http://www.reiki-hurani.com/cms/reiki-book

موقع هيئة الخبراء بمجلس الوزراء–المملكة العربية السعودية

https://www.boe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx

❊ ❊ ❊